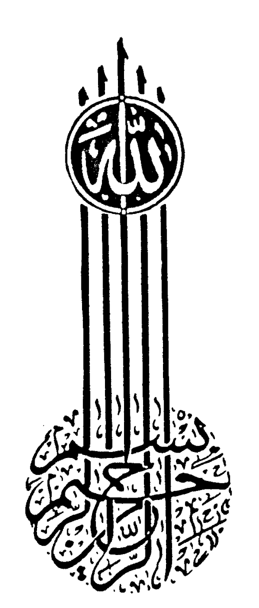
المعجزة بين المثبتين والنافين

تأليف الدكتور :
محمد حسيني موسى الغزالي

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م







بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين ، يحب من عبـاده العلماء العـالمين . قـال تعـالى ﴿ " إِنَّمَـا يَخْشَـى اللَّـهَ مِـنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاء إِنَّ اللَّـهَ عَزِيـزٌ غَفُورٌ " ﴾[1] .ويقول العلامة ابن كثير « أي إنمـا يخشـاه حـق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم والعلـم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر »[2]

وبين سبحانه وتعالى أن العلم المزكى عنده هـو العلـم بـالله تعـالى صفاته ، وما فيه بيان كمال قدرته ، وعظم جلاله ، وببيان سـلطانه .

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ ، وقد فسر الإمام الفخر الرازى " الخشية " بمعنى الخوف مـــن الله ، وعلى الوجه الثانى من القراءة برفع لفظ الجلالة بمعنى الحب الإلهى ، وكأن المعنى : " إنمـــا يحب الله من عباده العلماء " - راجع مفاتيح الغيب .

(٢) راجع تفسير القرآن العظيـــم جـــ٣ ص٥٥٣ - طبعـة مكتبـة الـــتراث الإســـلامى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، وأيضا مفاتيح الغيب م١٣ جـ٢٦ ص٢١ وما بعدها .

قال تعالى ﴿ "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير" ﴾[1] .

يقول العلامة الجلالين ﴿ " يرفع الذين آمنوا منكم " ﴾ بالطاعة في ذلك ، ويرفع الذين أوتوا العلم درجات في الجنة ، ﴿ " والله بما تعملون خبير " ﴾[2] .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجينا من عذابه يوم لقائه جل علاه ، فهو الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الصاحبة والشبيه والشريك ، والولد .

ﷻ قال تعالى ﴿ " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " ﴾[3] .

يقول العلامة ابن كثير « شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين ﴿ " إنه لا إله إلا هو " ﴾ أي المنفرد

(١) سورة المجادلة الآية ١١ .

(٢) راجع تفسير الجلالين – الإمام جلال الدين المحلى ، والإمام جلال الدين السيوطى – دار التراث بالقاهرة ص٢٠٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨ .

بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى: ﴿ " لكن الله يشهد بما أنزل إليك " ﴾ الآية، ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿ " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم " ﴾، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام »[1] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أوتى جوامع الكلم . وفصل الخطاب ، وفضله الله على سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، فجعله ربه جل علاه نذيرا وبشيرا ، قال تعالى ﴿ "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا" ﴾[2] .

اللهم صلى وسلم على وبارك على سيدنا محمد النعمة المهداة . والرحمة المسداة ، فيقول ﷺ « إنما أنا رحمة مهداه »[3] ، وأرض

---

(١)راجع تفسير القرآن العظيم جـ١ - طبعة مكتبة التراث الإسلامى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، وأيضا مفاتيح الغيب م٤ جـ٨ ص٢٠٣ وما بعدها .

(٢) سورة الأحزاب - الآيات ٤٥/٤٧ .

(٣) أثر شائع مشهور ، يجرى على الألسنة جريان الخبر المستفيض .

اللـهم عـن آل بيتـه الأطـهار وأصحابـه الأخيـار والتـابعين الأبـرار ، وانفعنا بشفاعة المصطفى المختار .

وأكرم اللهم أهلينا وشيوخنا وإخواننا فى الله ، وأرحم أمواتنـا ، وبارك فى ذرارينا ، وألطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك يا مولانـا على ما تشاء قدير ، وأنت وحدك نعم المولى ونعم النصير .

أما بعد

فإن الله تعالى يقيض لخدمة دينـه مـن يرتضيـهم مـن أهـل العلـم به ، وييسر لهم من الأسباب ما يعينـهم علـى القيـام بمـا انتدبـهم الله تعالى إليه ، وجمهور أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية من أولئك النفر الذين خدموا العلم الإلهى ، بمـا تمكنـوا مـن طاقـة ، ومـا يسر الله لهـم مـن أسـباب . ولـما كـانت النبـوات[1] هـى الرسـالة التـى يوجهـها الله لعبـاده عـن طريـق المرسـلين إليـهم بالألسـنة التـى يجيدونها ، واللغة التى يمكنهم أن يتخاطبوا بها .

---

(١) من أمثلة ذلك ما عرضناه من جهود للإمام الفخر الرازى فى إثبات النبـوات فى رسـالتنا للعالمية ، وهى بعنوان « فكر الإمام الرازى فى النبوات » ومدى توظيفه فى العصر الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٩٢م .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم " ﴾[1] .

فقد بذل جمهور أهل السنة والجماعة ، كما بذل جمهور السلف الصالح وغيرهم من أهل العلم بالله جهودا كبيرة فى الحديث عن النبوات تعريفا بها ، وبيانا لها ، حتى صارت الأمور واضحة للناظر فيها وضح الشمس لدى عينيه فى رابعة النهار .

ولما كانت المعجزة هى العلامة المميزة لدعوى النبوة على جهة التأكيد لها ، والتصديق بها ، فقد عنى بها مفكروا المسلمين هى الأخرى أيما عناية ، وبذلوا حولها ما أمكنهم من جهد حتى تتميز عن خوارق العادات الأخرى[2] ، التى أجاد فى بيانها العلماء نثرا ونظما من نظمهم ، ما حكاه الشيخ الباجورى – رحمه الله – .

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة ∴ فمعجزة أن من نبى لنا صدر

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٢) يذهب علماء المسلمين إلى أن الخوارق للعادات فى مجملها هى : (١– النبوة . ٢– الكرامة ، ٣–الفراسة ٤– الإرهاص ، ٥– المغوثة ، ٦– المعرفة . ٧– الإهانة . ٨– الاستدراج . ٩– السحر) .

وأن بـان منـه قبـل وصـف نبـوة ∴ فالإرهاص سمة تتبع القوم فى الأثر

وإن جـاء يومـا ولي فإنـه الكـ ∴ ـرامة فى التحقيق عند ذوى النظر

وأن كان من بعض العوام صدوره ∴ فكنـوه حقابـا بالمعونـه وأشـتهر

ومـن فاسـق أن كـان وفـق مـراده ∴ يسمى بالاسـتدراج فيما قـد استقر

وإلا فيدعـى بالأمانـة عندهـم ∴ وقد تمت الأقسام عند الذى أختبر [1]

وحيث كنت من خدمة العلم وطلابه ، فقد رأيت القيام ببحث مسألة المعجزة من ناحية إثباتها ، والرد على منكريها ، ولذا جعلت عنوان ذلك البحث هو « المعجزة بين المثبتين والنافيين » .

ولذا فقد اقتضانى الأمر تقسيم الحديث حول ذات الموضوع فى النقاط الآتية جاعلا كل نقطة منها فصلا مستقلا بذاته .

(١) شيخ الإسلام العلامة إبراهيم الباجورى - تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٧٧ .

ﭬ ومن ثم فقد جاءت محتويات ذلك البحث فيما يلى :-

[١] المقدمة

[٢] الفصل الأول : المعجزة بين المنطوق والدلالة [1] :

تعرضت فيه لدلالة مادة – ع ج ز – فى اللغة ، سواء فى الحقيقة أو فى المجاز ، وعلى المعانى التى أمكننى الوقوف عليها ، كما تعرضت لها فى الاصطلاح .

آخذا فى الاعتبار جعل اصطلاح أهل السنة والجماعة هو القاعدة ، التى يقوم عليها البحث ، والميزان الذى أنهض به فى مواجهة الأفكار الأخرى التى أراها غير ناهضة فى المسألة .

[٣] الفصل الثانى : علاقة المعجزة بإثبات النبوة [2] :

وقد حرصت على التركيز الشديد الذى يضع المفردات فى مواجهة معانيها القائمة ، فتحدثت عن الجهة فى اللغة ، كما ذكرت

(١) وقد استغرق هذا الفصل الصفحات من ١٧ – ٥٤ .

(٢) وقد استغرق هذا الفصل الصفحات من ٥٥– ٨٦ .

مفهوم الدلالة ، ثم تعرضت لبيان الأوجه ، التى قال بها المتكلمون من جمهور أهل السنة والجماعة ، وهم العمدة فى المسألة .

ولا شك أن عرض الآراء كان مهمة حرصت على القيام بها على الوجه الأمثل ، وقد استطعت أن أتخلص من هيمنة العواطف على نفسى ، ولذا عرضت الآراء ، كما وجدتها عند أصحابها ، دون إنقاص أو تزيد[1] .

ولم أقف عند مجرد العرض ، وإنما لجأت إلى المقارنة والتعقيب ، بجانب مناقشة الآراء والتعقيب عليها متى وجدت ، ذلك مفيدا للبحث الذى أقوم به ، ومن ثم فلم أتقيد بمعلومة سابقة ، وإنما تقيدت بالحق وحده .

[٤] الفصل الثالث : وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول[2] :

وفيه تعرضت لبعض جهود مفكرى أهل السنة والجماعة . كما تعرضت لجهود غيرهم ممن رأيت الحاجة ماسة فى التعريف

(١) هذا هو الذى اشترطه الإمام الغزالى على نفسه ، حين قال : من غير تعصب لهم أو كسر عليهم – راجع المنقذ من الضلال بتقديم الدكتور / عبدالحليم محمود .

(٢) وقد استغرق هذا الفصل الصفحات من ٨٧ – ١٢٢ .

بجهودهم ، وكذلك بينت ما يمكن أن أكون بحاجة إلى بيانه فى ذات المسألة .

كما أنى شغلت نفسى بقضية هامة ، تقوم على فكرة كريمة هى إجابة لسؤال بعينه ، وهو :

- هل تعتبر المعجزة هى الدليل الوحيد على إثبات النبوة ؟ بحيث إذا أقيمت بجوارها أدلة كثيرة لا تثبت بها النبوة[1] ؟
- أم أن المعجزة إحدى مثبتات النبوة ، بحيث تكون هى وغيرها مثبتات للنبوة[2]، فتدخل صفات النبى الشخصية والأخبار الدالة على صدقه ونبوته ، إلى غير ذلك مما يعتبره العلماء من مثبتات النبوة .

[٥] الفصل الرابع : شبهات المنكرين للمعجزة والرد عليها[3] :

تعرضت فيه بالحديث عن شبهات المنكرين للمعجزة قديما وحديثا ، الذين يعتمدون على الأدلة النظرية ، أو الذين يتمسكون بـ

(١) كما ذهب إلى هذا الإمام الباقلانى ، وإمام الحرمين ... الخ .

(٢) ذهب إلى ذلك الرأى كل من شيخ الإسلام ابن تيمية والطحاوى وغيرهما .

(٣) استغرق الحديث فى هذا الفصل الصفحات من ١٢٣ - ٢٠٧ .

" لغة العلم المعلى " ، وتابعت شبهات أولئك فى مظانها ، كما عرضتها عند شيوخ المذهب حسب تصويرهم لها[1] .

ثم قمت بمتابعة عرض الشبهات والرد عليها ، ذاكرا جهودى المتواضعة التى أمكننى الوقوف عليها ، والقيام بها[2] . حسب ما وفقنى الله تعالى إليها ، وكنت متلمسا طريق النجاة ، أملا توفيق الله تعالى .

وقد بينت عن أوجه فساد تلك الشبهات على النواحى التى أمكننى القيام بها ، سواء من الناحية النظرية ، أو من الناحية العملية ، وإنى لأشعر بأننى قد بذلت فى الأمر ما أعاننى الله عليه ، وأكدت أن شبهات المنكرين ما هى إلا ظنون يجب عدم الالتفات إليها ، بل أن هجرها أولى .

(١) ذلك مما يحسب لشيوخ المذهب فقد كانوا أمناء فى كل شيء ، حتى فى عرض أراء الخصوم لهم فى الفكرة .

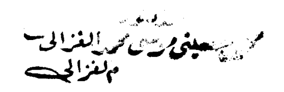
(٢) لا أزعم أنى قدمت جديدا ، إنما هى محاولة متواضعة .

[٦] الخاتمة :

وقد رأيت أن أعرض فيها بعض النتائج التى وفقنى الله تعالى إليها ، وأسأل الله السلامة فى الدين والنجاة فى الآخرة ، إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

﴿ " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " ﴾[1] ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

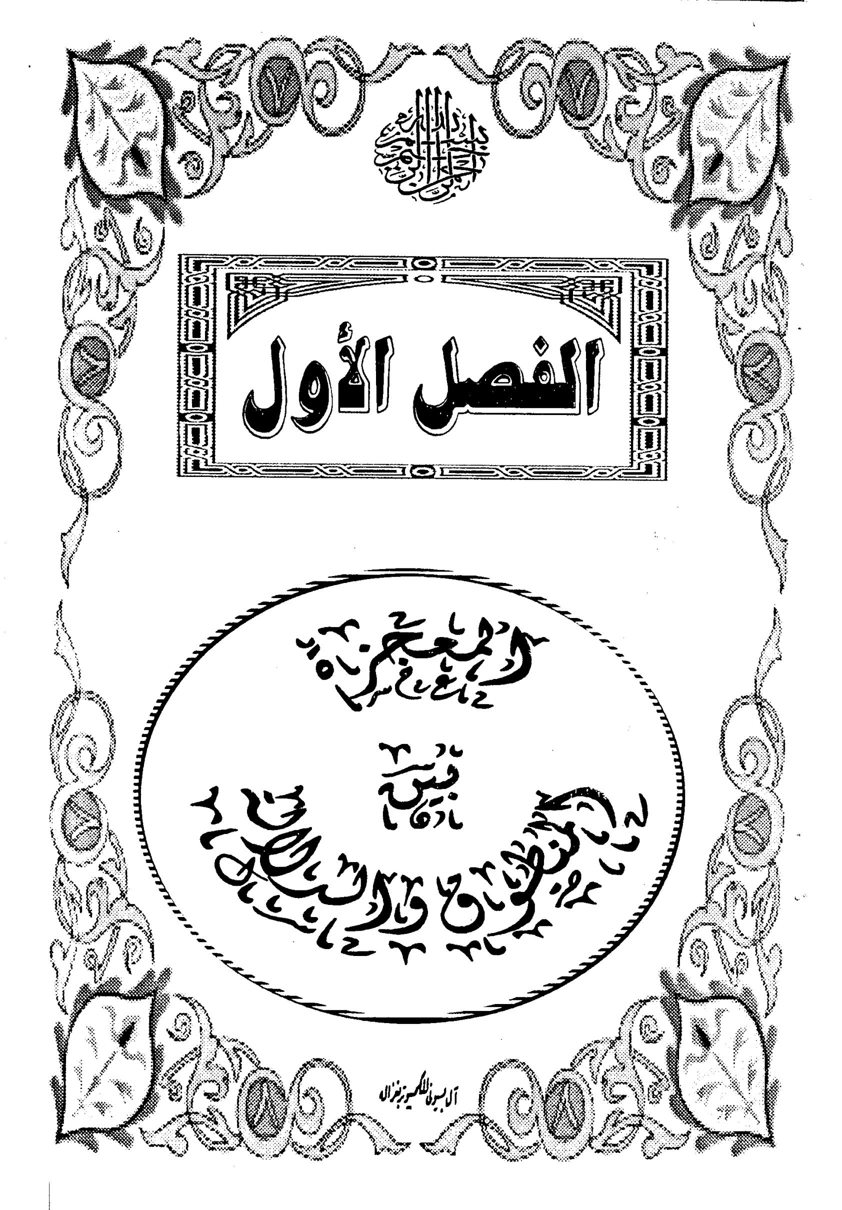
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته



الزقازيق - عصر يوم السبت الموافق

١٢ جماد الأولى ١٤٢١هـ / ١٢ أغسطس ٢٠٠٠م

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .


الفصل الأول
المعجزة
بين



تمهيد

عنى أهل الإسلام بخوارق العادات أيما عناية ، ومما اعتنوا به المعجزة ، لأنها علاقة صدق النبى فى دعواه ، وعرفوها بأنها « أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة ، وعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله أو جزئه كان الجزء قليلا أو كثيرا ، فما النبوة إلا الخبر عن الله تعالى بأنه أرسل رسولا »[1] .

وكانت عنايتهم بالمعجزة من كافة نواحيها ، فمرة يعنون بها من ناحية التعريف وأخرى من ناحية المفهوم الاصطلاحى ، وثالثة من ناحية الأنواع ، كما لن يهملوا الحديث عنها باعتبار الأجزاء التى تقوم عليها ، والنواحى التى تأتى من أجلها ، باعتبار أنها أحد الطرق المثبتة للنبوة .

حيث يذهب العلامة ابن تيميه إلى أن « كثيرا من الناس يحصل لهم علم ضرورى بأن هذا النبى صادق ، وذلك المتنبئ كاذب ، متى

(١) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – نهاية الأقدام فى علم الكلام ص٤٢٨ – تحرير الفريد جيوم .

أدركوا الخارق ، وبعضهم يصدق بأنه صادق ، وأن المتنبئ كاذب من قبل أن يروا خارقا للعادة منفصلا عنه »[1] .

كما أن دعوى النبوة وظهور المعجزة على يد من ادعى النبوة « يعد تصديقا له في دعواه ، وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصدقا ، وذلك الطريق مما ذكره الله تعالى وقرره على احسن الوجوه[2] ، باعتبار أن المعجزة هى الطريق القوى لإثبات النبوة .

ونحن سوف لا نخرج عن ما قرره شيوخنا من ناحية المنهج ، ولذا سنحاول التعرض لبيان المعجزة من ناحية المفهوم العام لها والخاص فى اللغة والاصطلاح .

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٢٧٤ – ط المدنى .

(٢) الإمام الفخر الرازى – المطالب العالية جـ٨ ص١٠٣ – تحقيق الدكتور / أحمد حجازى السقا .

وذلك على النحو التالي :-

[أ] في اللغة :

من المؤكد أن مادة الكلمة " ع - ج - ز " قد وردت فى القرآن الكريم حوالى ست وعشرين مرة ، وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بعدها ، وببيان مواضعها من السور والآيات القرآنية[1] .

وكذلك وردت فى لغة العرب على أنحاء شتى ، ومعان بعضها قائم على سبيل الاشتقاق ، وبعضها قائم فى مفهوم الحقيقة ، أو المجاز ، وبعض آخر نما فى رحاب العرف بعيدا عن النحت أو النقل أو الاشتقاق ؟

ونحن نذكر ما ورد فى اللغة بأن المعجزة تفيد الوهن فى العقل والضعف عن تفهم الفكرة أو احتمال الواقع ، يقال عجز الرجل عن احتمال كذا ، وعجزت المرأة عن الاحتفاظ بكذا ، ومعناه أن الضعف أصابهما والوهن ، ولم تعد لدى أيهما القدرة على الاحتمال[2] .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٤٦ - مكتبة الغزالى بدمشق - مؤسسة مناهل العرفان .

(٢) المعجم الوجيز - مادة " عجز " ص٤٠٧ ، وكذلك القاموس المحيط باب الزاى فصل العين وما يثالثهما .

وبناء عليه : سميت المعجزة بذلك لأنها تأتى أعلى بكثير من إمكانيات الآخرين ، وحينئذ يقع عليهم العجز ، سواء فى القدرات المادية الجسدية ، أو العقلية ، أو غيرها مما يقع عليه الإعجاز ، ويكون فى مرمى التحدى .

بيد أن ذلك اللفظ قد جاء فى المصدر على الحقيقة اللغوية[1] ، ويقصد به إثبات العجز لوهن فى الجسم أو ضعف العقل ، أو قلة فى الإمكانيات النفسية ، أو العقلية ، أو غيرها عن مجاراة الآخرين فيما هم فيه يتنافسون .

ثم أن اللغة قد حملت ألفاظ المعجزة ، سواء على الفاعل أو المفعول ، وسواء كان ذلك على سبيل المصدر الصريح ، أو المؤول ، أو على سبيل المصدر الميمى ، وكل واحد منها جاء لمعنى من المعانى ، أو غرض من الأغراض .

بيد أن علماء الكلام المعنيين بهذا الأمر قد استخرجوا الأمور الآتية :-

(١) هناك الحقيقة الشرعية ، والحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية ، والحقيقة الوضعية ، وكل منها تختلف عن الأخرى اختلافا كبيرا - راجع فى هذا الشأن " أصول التشريع الإسلامى " للدكتور على حسب الله طبعة ٥ - دار المعارف بمصر .

(أ) أن مادة الكلمة يأتي منها المصدر وهو العجز ، فيقابله المصدر الأخر ، وهو القدرة ، فكلما كان العجز انتفت القدرة ، وكلما تحققت القدرة انتفى العجز ، ولذا يقول العلامة السعد « أن المعجزة مأخوذة من العجز المقابل للقدرة »[1] .

وهو من حيث تلك الحقيقة يكون ضدا للقدرة ، ويتعلق بها من باب تعلق الشيء بضده ، فإذا اختفى أحدهما ظهر الآخر ، والعكس بالعكس ، وتلك حقيقة لغوية .

(ب) أن لفظ عجز يستعار لإظهار العجز باعتبار أنه متعلق بالمعقولات ، وليس بالألفاظ والمفردات ، أو بعبارة أخرى تكون الاستعارة هنا قائمة مقام الحقيقة اللغوية .

وبناء عليه : تكون المعجزة هي ما وضع لإظهار عجز الآخرين ، بحيث يستحيل عليهم مقاومة أو معارضة ما وقع عليهم التحدى به[2] .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد – جـ٢ ص١٢٩ .

(٢) راجع فى هذا الشأن المواقف للعلامة الايجى ، والمقاصد للسعد ، وكذلك الأربعين فى أصول الدين للعلامة الفخر الرازى .

(جـ) أن فعل العجز يأتي علـى سـبيل الإسـناد المجـازى ، بمعنـى أن يصير إلى ما هو سبب العجز مـن بـاب إسـناد الفعـل إلى سـببه ، حتى وإن صـار اسمـا لـه ، والمجـوز لهـذا الاسـتعمال الحقيقـى والمجازى ، ما دامت توجد علاقة قائمة بين الحقيقة والمجاز . أما إذا انقطعت تلك العلاقة ، فإن الإسناد حينئذ لا يصح[1] .

(د) أن المعجزة لفظ يأتى مذكرا ، كما يأتى مؤنثا على سـبيل المعنـى ، وبالتالى يصح تذكيره وصفا أو إسنادا ، فنقول هذا فعـل معجـز ، كما نقول : تلـك آيـة معجـزة ، وبالتـالى فإنـه مذكـر معنـوى ، دخلت عليه التاء فاصلة بين وضعـى الكلمـة مـن حيـث التذكـير والتأنيث .

كما ان التاء إذا دخلت على لفظ المعجـز فإنـها تنقـل الكلمـة مـن الوصفية إلى الاسمية باعتبار أنه فى السابق كانت وصفـا لمـن عجـز عـن القيام بما كلف به على نحو من الأنحاء[2] ، فصار معروفا لدى دارسى هذا الفن باسم المعجز ، والمعجزة ليس باعتباره وصفا .

(١) العلامة الشيخ / أحمد بن منصور الأحمدى – منور الأذهان فى علم البيان ص١٣ – ط النصر ١٩٩٣م .
(٢) الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – الغزاليات فى السمعيات جـ٦ ص٢٤٣ ط أولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

فممن استعمله مذكرا العلامة الفخر الرازى حيث يقول « الركن الرابع من هذا الكتاب[1] فى السمعيات ، وهو مرتب على أقسام : الأول فى النبوات : مسألة المعجز ، وأنه أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة »[2] .

فهو عرفه باللفظ المذكر المعنوى ، باعتبار القاعدة القاضية بان المعنويات يجوز فيها التذكير والتأنيث ، وإن كان التذكير يغلب باعتبار الوصف والإضافة ، وكذلك الحال فى التأنيث .

بينما عرفه غيره بالتأنيث ، يقول الإمام صاحب الطحاوية « المعجزة كل خارق للعادة »[3] ، وبهذا الرأى جرى أغلب من عرف المعجزة ، ولا مشاحة فى ذلك سواء كان اللفظ بالتذكير أو بالتأنيث ، لأن التاء كما تكون للتأنيث تكون أيضا للانتقال من الوصفية للاسمية .

---

(١) هو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، وقد تم تحقيقه وطبعه فى أكثر من جهة .

(٢) العلامة الفخر الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ – تحقيق أ/ طه عبد الرؤوف سعد .

(٣) العلامة بن أبى العز الحنفى – شرح العقيدة الطحاويه ص٢٣٥ .

وتكون كذلك لبيان النوع من وقوع الشيء مرة واحدة ، أو تكراره ، ويقال عليها المبالغة[1] .

على أن الكلمة استعملت في مفهوم محدد ، فصارت فيما بعد لا تنفصل عن ذلك المفهوم ، وبناء عليه فإنها ترد على ما سبق ذكره ، وتستعمل لإظهار العجز ، كما تستعمل إسناد فيما هو سببه .

وبالتالي تتعدد استعمالاتها ، حتى أن بعضهم ذهب إلى جواز استعمالها في العدميات ، وليس في الوجوديات فقط ، بناء على ما ذكره إمام الحرمين من أن الأشعري - رحمه الله - ذهب إلى جواز استعمال العجز في عدم القدرة على ، وليس في مقابلها كاستعمال الجهل في عدم العلم ، فلو تحقق العجز عن المعارضة لوجدت المعارضة الاضطرارية[2] .

---

(١) ممن ذهب إلى ذلك العلامة التفتازاني في كتابه شرح المقاصد جـ٢ ص١٢٩ ، وإن كان ذاكرا لها بلغة الحكاية « وقيل للمبالغة كما في العلامة » .

(٢) العلامة السعد التفتازاني - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٠ .

- **وفى تقديرى** : أن شيوخ المذهب استعملوا لفظ المعجزة للدلالة على الحالة الواقعة ، وعلى الفعل نفسه ، وآية ذلك أنهم يعرفونها بأنها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة[1] .

كما تعرف عندهم بأنها « ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله »[2] .

- **وبناء عليه** : لم نجد واحدا منهم عرفها مثلا بأنها ما قصد بها إظهار صدق من ادعى النبوة ، ولا شك أن استعمالهم فى تعريفها لفظ أمر ولفظ به ، قد كشف عن تمكن القوم من لغة العرب ، وأنهم استطاعوا ان يغوصوا فيها ، ويستخرجوا منها اللآلئ والأصداف . وأن يعيدوا تلك إلى وضعها بما فيها من بريق ولمعان .

على أن المعنى اللغوى للمعجزة ينسب الفعل إلى فاعله الحقيقى ، وهو الله سبحانه وتعالى باعتباره صانع المعجزة ، والمعجز ومن جرت على يديه .

(١) الإمام الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ .

(٢) العلامة عضد الدين الايجى – المواقف ص٣٣٩ .

وتلك قاعدة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أن الفاعل فى الكل باعتبار الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، وأنه إنما يجرى فعله سبيل الإعجاز فى حدود المجاز لمن أراد له أن يرسله نبيا ، ويعجز غيره عن مماثلته ، وهو المقصود بالمعارضة بالمثل .

◈ فما هو التعريف الاصطلاحى أو العرفى للمعجزة ؟

[ب] فى الاصطلاح (1) :

لا شك أن لكل قوم اصطلاحاتهم الخاصة بهم ، بحيث تكون الاصطلاحات بمثابة القواعد التى ينطلقون منها ، والمعروف أنه لا مشاحة فى الاصطلاح .

وقديما قيل : أن الاصطلاحات هى القواعد الذاتية التى يقيم أصحاب كل فن قواعدهم عليها ، حتى وإن استخدموا نفس الألفاظ لكن بمعان أخرى ، وآية ذلك لفظ الوتد .

---

(1) أ) يعرف الإصلاح : بأنه اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، أو اتفاق فى العلوم والفنون على لفظ ، أو رمز معين لأداء مدلول خاص ، ويقال لكل قوم اصطلاحاتهم الخاصة بهم - راجع المعجم الوجيز مادة " ص ل ح " ص٣٦٨ ، وعرفه الإمام الجرجانى فقال : هو لفظ معين بين قوم معينة - راجع التعريفات للجرجانى باب الألف ص٢٢ .

مثال ذلك : اصطلاح النحاة على أن الفاعل : من فعل الفعل ، أو اتصف بالفعل ، أو قام به الفعل . فإن هذا التعريف للفاعل عندهم مخالف اصطلاحاً لتعريف الفاعل عند علماء القانون مثلا ، أو الأخلاق الذين يعرفون الفاعل بأنه من يفعل بحرية تامة ، واختيار كامل يكون مسئولا عن كل ما يصدر عنه .

ولا يصح اختلاف القوم - النحاة - مع الأخلاقيين مثلا فى هذا الاصطلاح ، لأن لكل قوم اصطلاحاتهم الخاصة ، وقديما قيل « لا مشاحة فى الاصطلاح » ، وقس على ذلك سائر الاصطلاحات التى تجرى فى العلوم والفنون ، ولا يمكن اعتبار واحد منها ممثلا للباقى أو نائبا عنها ، أو عوضا لها . وذلك لتخالف العلوم فى الموضوعات والغاية والوسائل ، وكذلك الاصلاحات .

ب) كما يعرف المصطلح : بأنه لفظ أو رمز يتفق عليه فى العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين - راجع المعجم الوجيز مادة (ص ل ح) ص٣٦٨ .

فإنه عند العروضين يطلق على معنى خاص بهم يظهر فى الأوزان العروضية - ويقسمونه إلى وتد مجموع ، وأخر مفروق .

كما يستخدمه المفسرون حين يلجأون إلى تفسير قول الله تعالى ﴿ " والجبال أوتادا " ﴾ فإن الوتد عندهم يخالف تماما من حيث الاصطلاح ما هو وارد عند علماء العروض .

وكذلك ساكنو الصحراء الذين يضربون خيامهم فى الفيافى والقفار ، ويحتاجون إلى أوتاد يثبتون بها خيامهم ومساكنهم ، لا يمكن أبدا أن يكون لفظ الوتد الوارد عندهم ، هو نفس مفهوم الوتد عند العروضين أو المفسرين ، فضلا عن الصوفية الذين يتحدثون عن الأقطاب والأوتاد وغيرها .

وقديما قيل قال الأعرابى :

لا يقيم على خيم يراد به ... سوى الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذلك يشج فلا يرسى له من أحد[1]

(١) راجع المنار فى علوم البلاغة المقرر على طلاب الصف الثانى من المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية .

- من ثم فأنا سنحاول تعريف المعجزة فى الاصطلاح حتى نتبين بعض جهود مفكرى المسلمين فى المسألة .

(١) الإمام الأشعرى[١]

- شيخ المذهب الأشعرى ، نقل عنه تعريفه للمعجزة بأنها :

(١) الأمور التى تحدث ناقضة للعادة المتقدمة عند دعوى الرسول الرسالة[٢] .

---

(١) هو على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وكنيته أبو الحسن . قيل الأشعرى : من " أشعر " . وقيل « إنما سمى أشعر ، لأن أمه ولدته ، وهو أشعر » ، والأشعر من أولاد سبأ الذين كانوا باليمن وعلى رأسهم أبو موسى الأشعرى الصحابى الجليل . ويذكر ابن عساكر أن الناس قد أجمعوا على تسميته بالأشعرى ، وأنه من سلالة الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى .

ولد بالبصرة ٢٦٠هـ / ٨٧٤م ، وعاش ما بين ٢٦٠هـ وحتى ٣٢٤هـ . فى أواخر أيام الدولة العباسية ، أتقن علوم الاعتزال ، وعزف عنها ، واتجه إلى عقائد أهل السنة والجماعة . وكانت له نزعة صوفية تتلمذ فيها على يد الإمام الجنيد والحلاج . ولم يأخذ من التصوف إلا بما كان عليه السلف الصالح .

صنف الكثير من المؤلفات العلمية فى العقائد والفقه وأصوله . وفى التفسير منها : الإبانة عن أصول الديانة ، مقالات الإسلاميين . اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع .. الخ المؤلفات الكثيرة – راجع أعلام الفكر الإنسانى ص٥٨٧/٥٩٤ ، وايضا : منهج الإمام أبو الحسن الأشعرى فى إثبات وجود الله تعالى (بحث منشور فى حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق للمؤلف)

(٢) الإمام الأشعرى – الإبانة عن أصول الديانة ص٢٦٠ .

(٢) وهى أيضا : « كل أمر ناقضا يحدث للعادة ، جاريا مع رسول الله تصديقا له »[١] .

(٣) وهى أيضا[٢] « فعل من الله تعالى ، أو قائم مقام الفعل ، يقصد بمثله التصديق »[٣] ،

وتعريف الشيخ للمعجزة بأنها فعل من الله تعالى قد يظن أن الترك لا يدخل فيه ، ومن ثم انتقد بذلك ، غير أن القارئ للتعريف فى شيء من التأنى يرى الشيخ قد احترز عن ذلك التصور . بل واحترس منه فقرر قوله ، أو قائم مقام الفعل ، ولا شك أن الذى يقوم مقام الفعل أعم من مجرد الترك ، وبالتالى تكون عبارة الشيخ قد أوفت على المطلوب ، وجاءت شاملة لكل من الفعل والترك وغيرهما . مما تتحقق به المعجزة ، ويقصد به تصديق النبى ﷺ فى دعواه[٤] .

---

(١) الشيخ ابن فورك – مجرد مقالات الشيخ الأشعرى – لوحة ٨٤ مخطوط رقم ١٢١٤ – دار الكتب المصرية .

(٢) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) لأن الغرض الأول من المعجزة هو تأكيد صدق النبى فى دعواه النبوة .

(٤) الدكتور / محمد حسينى الغزالى – الغزاليات فى السمعيات ص٢٧٢ .

◈ وربما يقال أن تعريف الأشعرى فيه شيء من القصور على ناحية ما ؟

⊃ **والجواب** : أن هذا القصور على التعريف غير متصور ، لأن الفعل معروف ، من حيث مفهومه ودلالته « أما ما يقوم مقام الفعل فى التصديق بخبر النبوة ، والتأكيد عليها ، فهو القول ، وكذا الترك ، لأنه فعل من الأفعال السلبية .

وهو فى ذات الوقت فعل أيضا ، كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام ، فإنه فعل سلبى ، من حيث عدم ظهور أثر تركه فى الواقع الخارجى . شريطة أن يقصد به وقوع تصديق النبى فيما يدعيه ، من أنه نبى صادق ، مرسل من قبل الله تعالى ، فإن جاء على غير هذا القصد ، أو لغير ذات الغرض ، فلا التفات له ، ولا اعتداد به .

◈ لكن لم التصديق كان مشروطا فى المعجزة ، بل وما فائدته ؟

⊃ **والجواب** : أنه إن جاء الخارق مخالفا لما يدعيه صاحبه ، فلم يقصد به التصديق ، بل يكون ظهوره نوعا من التكذيب للمدعى ، وبيانا

بأنه غير صادق فى دعواه الإرسال من الله تعالى ، ولذا فقد رأينا جمهرة من العلماء يشترطون فى المعجزة قصد تصديق المدعى بها .

فإذا جاءت مخالفة ، فلا شك أنها تكون خارقا على سبيل الإهانة ، أو الاستدراج لمن ادعاه ، باعتبار أنها فى حقيقتها « خرق لقوانين الكون ونواميسه ، يجعلها الله سبحانه وتعالى لرسله ، حتى يدل على منهجه ، ويثبتهم به ، ويؤكد للناس أنهم رسل من عنده . تؤيدهم السماء ، وتنصرهم »[1] .

وحيث أن المعجزة تأتى على هذا النحو ، فإن التحدى بها يكون قائما . سواء أعلن عنه القائمون بأمر النبوة ، ابتداء ، وهم الأنبياء والمرسلون ، أو طلبه أولئك الذين أرسل فيهم الأنبياء والمرسلون .

ولذا يقول إمام الحرمين الجوينى : « أن المعجزة لا تدل على صدق النبى ، حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها »[2] ، باعتبار أن المعجزة ترد من باب خوارق العادات ، لا من باب خوارق

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى – معجزة القرآن جـ١ ص٧ – طبعة دار الشعب .

(٢) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٢٢٤ – تحقيق الدكتور / محمد يوسف موسى .

العقليات ، والفرق بين كل منهما كبير جدا . ولذا فإن المعجزة لا تأتى خارقا للشرع ، ولا خارقا للعقل ، وإنما تأتى خارقا للعادة .

وقد أحسن شيوخ المذهب الأشعرى . وكذلك صنع مفكروا الإسلام ، حيث بذل كل منهم جهدا كبيرا فى الوصول إلى المعجزات . والتأكيد عليها ، وإثبات دورها فى تأكيد النبوة ، بجانب تقديم تعاريف اصطلاحية لها . حسب ما أمكن كل واحد منهم . وما تمكن منه .

ولذا يقول الإمام الماتريدى[1] : « ثم الآيات الحسية كانشقاق القمر ، واجتذاب الشجر ، وتسليم الحجر عليه ﷺ ، ظاهر ذلك كله عرفوه ، ثم شربهم من الماء القليل ، وهم الكثير من البشر . ثم ابتلاء

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدى . من أئمة علماء الكلام ، أشتهر بالماتريدى نسبة إلى ماتريد " محله بسمرقند " توفى رحمه الله سنة ٣٣٣هـ . ومن تصانيفه « التوحيد ، والرد على القرامطه ، وأوهام المعتزلة ، وتأويلات أهل السنة » راجع مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة – طاش كبرى زاده المتوفى ٧٧٥هـ جـ٢ ص١٣٠ . والإعلام جـ٧ ص٢٤٢ .

أعدائه بدعائه بالجدب والقحط[1] ، وغير ذلك من المعجزات الحسية التى عنى بذكرها وعدها وبيان أنواعها أهل العلم بالله »[2] .

ولا يخفى أن المعجزة العقلية هى القرآن الكريم ، الذى تحدث عن أخبار الماضيين وأحوال الآتيين ، كما ذكر ، ما يعرض للقائمين .

قال تعالى ﴿ " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " ﴾[3] .

وفى الحديث الشريف « فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن تمسك به فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

---

(١) العلامة أبو منصور الماتريدى – كتاب التوحيد ص٢٠٣ – تحقيق الدكتور / فتح الله خليف – طبعة دار الجامعات المصرية .

(٢) راجع المعجزات الحسية لنبى خير البشرية الإمام أبى حامد الغزالى – مخطوط بدار الكتب المصرية ، حيث عد منها ما يربوا على الألف .

(٣) سورة هود الآية ١٢٠ .

ولذا سنذكر بعضا من تعريفات مفكرى الإسلام للمعجزة على الناحية الاصطلاحية على النحو التالى :-

(٢) تعريف العلامة الأسفراينى[١]

صاحب التبصير فى الدين ، يعرف المعجزة بأنها « فعل يظهر على يد مدعى النبوة بخلاف العادة فى زمان التكليف موافقا لدعواه . وهو يدعو الخلق إلى معارضته ، ويتحداهم أن يأتوا بمثله ، فيعجزوا عنه ، فيتبين به صدق من يظهر على يديه ، وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيدا بمعجزة أو معجزات كثيرة تدل على صدقه[٢] .

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفراينى الملقب بركن الدين الفقيه الشافعى المتكلم الأشعرى ، نشأ بالعراق ، وتفقه فيها ، ثم خرج إلى نيسابور ، وفيها بنيت له مدرسة ليدرس فيها ، وتخرج فى حلقته عامة شيوخ نيسابور فى الفقه والكلام والأصول ، كان معاصرا للباقلانى وابن فورك . وثلاثتهم من دعائم مذهب الأشعرى . وكانت وفاته فى نيسابور ٤١٨هـ /١٠٢٧م ، ودفن بأسفراين ، ومن مؤلفاته : « كتاب جامع الحلى فى أصول الدين ، وكتاب الرد على الملحدين » ولم يختلف الأسفراييني مع رجال المذهب الأشعرى على أصل من أصول المذهب التى يجمع عليها أهل السنة . توفى ٤١٨ هـ

(٢) العلامة أبو المظفر الأسفراينى – التبصير فى الدين ، وبيان الفرقة الناجية ص١٠٤ .

وهو تعريف يركز على مفهوم الإيجاب ، وليس على مفهوم السلب ، بمعنى أنه يعرفها بأنها فعل فيخرج به ما ليس بفعل ، وربما قصد بالفعل هنا نسبته إلى الفاعل الحقيقى ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وحينئذ يكون الأمر مستقيما ، بحيث يدخل فيه الترك أيضا ، وتلك مسألة مهمة .

(٣) تعريف العلامة الآمدى[1]

أما العلامة الآمدى فإنه يذهب إلى ابعد من ذلك ، حيث يعرف المعجزة باعتبار الوضع مرة ، والحقيقة العرفية مرة أخرى ، فيذهب إلى أنها فى الوضع مأخوذ من العجز ، وهو لا يطلق فى الحقيقة على غير البارى ، لكونه هو جل علاه خالق العجز ، وإن سمينا غيره معجزا ، كما فى فلق البحر ، وإحياء الموتى ، فإنما ذلك قائم بطريق التجوز والتوسع من كونه سبب ظهور الإعجاز ، وهو الإنباء عن

(١) هو على بن أبى على محمد بن سالم ، يلقب بسيف الدين ، وبالآمدى نسبة إلى موطنه . وبالشافعى نسبة إلى مذهبه الفقهى ، ولد - رحمه الله - سنة ٥٥١هـ فى آمد . حفظ القرآن الكريم ، وتعلم الفقه على يد ابن فضلان ، وتوفى - رحمه الله - فى ٤ صفر سنة ٦٣١هـ ، بلغت مؤلفاته بضعة وعشرين مؤلفا ، من أهمها « الأحكام فى أصول الأحكام ، أبكار الأفكار ، غاية المرام » - راجع العبر فى أخبار من عبر ص١٢٤/١٢٥ ، وعيون الأنبياء جـ٢ ص١٧٤ .

امتناع المعارضة ، لا الإنباء عن العجز عن الإتيان بتلك المعجزة ، كما يتوهمه بعض الناس[1] .

وغايته من ذلك أن يحرك المعجزة بالمعنى اللغوى المتواضع عليه ويقدمها على سبيل التعريف مع ضرب المثال للعقول ، حتى يقرب الأفهام ، ولذا فإنه يدفع توهم الناس من الأنباء عن امتناع المعارضة ، لا عن الأنباء عن العجز عن المعارضة ، والفرق بينهم واضح .

« فأنا ذلك مما لا يتصور العجز عنه حقيقة فإن دخلت تحت قدرته ، فلا عجز ، وإن لم تدخل تحت قدرته فالعجز عما لا يدخل تحت القدرة أيضا ممتنع ، فإن قيل أنه معجوز عنه فليس إلا بطريق التوسع لا غير »[2] .

كما يعرفها على طريق الحقيقة العرفية بأنها « كل ما قصد به إظهار صدق المتحدى بالنبوة المدعى للرسالة »[3] ، على أن يكون ذلك

---

(١) العلامة الآمدى – غاية المرام فى علم الكلام ص٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص٣٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ص٣٣٣ .

المعجز مما يتعلق به القوم ، وفى نفس الوقت تكون لديهم القدرة على مجاراة النبى فيه ، ومع ذلك يقع لهم العجز عنه فلا يتمكنون منه .

ونعم ما فعل العلامة الأمدى ، فهو لم يحصر نفسه فى دائرة الفعل أو الترك ، كما فعل غيره ، وإنما عبر بالسور الكلى ، مثبتا أن أى ما يقصد إظهار صدق المدعى للنبوة ، فإنه يكون مؤيدا له مدعما لموقفه مبينا حجته على غيره ، وغلبته إياهم بحيث يلزمهم جميعا قبول رأيه والنزول إلى حكمه ، بعد أن يثبت عليهم أنه رسول الله إليهم ، وأنه مرسل من قبله تعالى لهدايتهم ، فمن آمن واتبعه نجا ، ومن عانده وخالف وعصى هلك .

(٤) الإمام البغدادى

العلامة صاحب أصول الدين ، يعرف المعجزة على الناحية الإصلاحية تعريفا يوشك أن يكون أجمع التعاريف ، أو بعبارة أخرى يمكن القول بأنه تعريف جامع مانع .

يقوم هذا التعريف على أن المعجزة :-

هى « أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبـوة أو الرسالة تصديقا له فى دعواه مقـرون هـذا الأمـر بـالتحدى . مع عـدم المعارضة ، وعجز جميع الناس عن الإتيان بمثلـه ، وأن يكـون المعجـز موافقا لدعوى النبى فى دعواه ، وأن يتم ذلك فى زمن التكليف[1] .

ولا شك أن هذا التعريف للمعجزة حسب تصوير الإمام البغدادى يعتبر مـن أجمـع التعـاريف وأشملـها ، وبالتـالى فـهو مـن التعـاريف الهامة ، متى أردنا الوقوف على تعريف جامع مانع ، يقيـم أصولـه ، ويأتى على كافة التساؤلات المناهضة له ، أو التساؤلات التى تـرد علـى غيره من التعريفات التى عليها انتقادات عديدة .

فى نفس الوقت فإن ذلك التعريف إنما يدل علـى عقليـة تمـيزت بالجدة والجد ، بجانب الاجتهاد فى تفهم الأمـور الشـرعية ، لما هـو معروف من أن مفكرى المسلمين يتميزون بإيمان قوى وعقول ناضجـة ، واجتهاد فكرى لا يتميز به إلا هم .

(١) العلامة الإمام البغداى – أصول الدين ص١٧٠ .

ولذا يقال : « أن الكون الفسيح الرحب كلما دققت فيه النظر وصلت إلى غاية ، وسبقت إلى نهاية ، تلك هى العمد والتدبير والقصد والحكمة فى التصوير ، وتدل كلها على التدبير الكونى ، بيد حكيم ، وتصويره بيد قادر عليم »[1] .

ومن تدبيرات الله تعالى أن هيأ مفكرى المسلمين إلى تناول تلك القضايا الدينية ، وتقديم مجهودات عقلية فى جانب خدمة النص الدينى . وهى مسألة لا يمكن أن تقلل من شأن مفكرى المسلمين . وإنما تعلى من أقدارهم باعتبار أنهم « حاولوا تفهم الآيات القرآنية . وتوظيف قوانين العقل لخدمة الدين نفسه ، وبذا أمكنهم دحر حجج خصوم العقيدة الإسلامية »[2] .

---

(١) الأستاذ / حفنى شرف – الحقيقة الكبرى فى الرد على الدهريين ص٨٥ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – العدد الثانى والثلاثون (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) .

(٢) الأستاذ / سعد عبدالعزيز – فلاسفة الإسلام ص٦/٧ – مطبوعات الشعب ١٩٧٧م .

(٥) الإمام فخر الدين الرازى (١)

ما من شك فى أن الإمام الفخر الرازى يعتبر حلقة من حلقات الفكر الإسلامى . وفى نفس الوقت يمثل رأسا من رؤوس الفكر الأشعرى ، وفوق ذلك فهو علم ممن خدموا النص الدينى والفكر الدينى

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الطبرستانى الرازى . الملقب بفخر الدين . ومما كنى به : « أبو المعالى . أبو عبدالله . أبو الفضل . ابن الخطيب . ابن خطيب الرى » . ومن ألقابه « فخر الدين، شيخ الإسلام » . إلا أنه من أشهر ألقابه « الرازى » نسبة إلى مدينة « هراة » ، ثم لحقت الزاى بها على قياس .

ولد – رحمه الله – بمدينة « الرى » فى شهر رمضان ٥٤٤هـ الموافق ١١٥٠م ، على القول الراجح . ونشأ فيها . وتربى بها . وهى فى أزهى عصورها تتلمذ على يد شيوخ كثيرين . وعلى رأسهم والده الإمام « ضياء الدين » الشهير بخطيب الرى . وتتلمذ على يديه فى الأصول والفروع .

استطاع – الشيخ – أن يحيط بعلوم عصره شرحا وتأليفا . فألف فى جميع العلوم . فجاءت مؤلفاته شاملة : « علم الكلام ، والفلسفة ، والفقه ، والأصول ، والتاريخ . واللغة العربية . والتفسير » . ومنها : « المطالب العالية . الأربعين فى أصول الدين . ونهاية العقول فى دراية الأصول . ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين . وعصمة الأنبياء . وأسرار التنزيل . وأنوار التأويل ... الخ » من المؤلفات الكثيرة التى لا يتسع المقام لذكرها . راجع الوافى بالوفيات جـ٤ ص٢٤٨ . وطبقات المفسرين للإمام السيوطى ص٣٩ ط اليمن ١٨٣٩هـ . وهدية العارفين ٢/ص١٠٧ ط١ استنبول ١٩٥٥م . والإمام ابن كثير – البداية والنهاية ١٣/١٥٥ . وراجع رسالتنا فى الدكتوراه – فكر الإمام الرازى فى النبوات ، من خلال تفسيره مفاتيح الغيب . ومدى توظيفه فى العصر الحديث – مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٢م .

أيضا[1] ، ولذا فقد عرف المعجزة بعدة تعريفات ، بعضهما يمثل وجهة نظره ، وبعضها ينقله عن غيره ، وربما دافع عنه رغم أنه ليس له .

ومن أبرزها:-

[١] « المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى ، مع عدم المعارضة »[2] .

وهذا التعريف لم يسلم له ، إذ نظر إليه البعض من النظار ، فوجهوا له انتقادات ، من أبرزها :-

أنه خلى من قيد ظهور الخارق على يد مدعى النبوة ، ومن جهته على أن يكون موافقا له في دعواه .

غير أن الإمام السعد دافع عن هذا الاعتراض ، مبينا أن ذكر التحدى مشعر بما نظر إليه الخصوم ، فإن معناه : « طلب المعارضة

(١) لم يقتصر مجهود الإمام الفخر على القضايا الدينية ، وإنما كان له فى كافة العلوم الإنسانية سهم يعبر عنه ، والمؤلفات التى صحت نسبتها إليه من أبرز الشواهد عليه .

(٢) الإمام الفخر الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ – تحقيق الأستاذ / طه عبدالرؤوف سعد .

فيما جعله شاهدا لدعوته ، وتعجيز الغير عن الإتيان بمثل ما أبداه »[1] .

« ثم أن التحدى يجعل العلاقة بين النبى والمعجزة على سبيل الترابط والتأكيد ، فإذا ظهرت آية من شخص وهو ساكت ، ولم يعلن عن نفسه أنه نبى ، فلا اعتداد به ، ولا يكون الخارق معجزة له ، لأنهم شرطوا ضرورة الإعلان عن النبوة ، فإذا جاءت المعجزة كانت هى الرابط بين الدعوى والتصديق لها »[2] .

وبالتالى فإن هذا الاعتراض مدفوع على الناحية التى ذهب إليها العلامة السعد ، ومن نحا نحوه ، ويظل تعريف الإمام الرازى قائما . ومن ثم فالزعم بأن تعريف الرازى غير مانع أمر لا يستقيم مع طبيعة التعريف نفسه .

ولذا نرى الإمام السعد قد تمسك به ، واعتبره هو الوحيد الذى يجب التمسك به ، وآية ذلك ما ذكره العلامة السعد نفسه فى مقاصده[3] .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٠ .
(٢) الأستاذ الدكتور / محمد حسنى موسى محمد الغزالى - الغزاليات فى السمعيات ص٢٨٤ .
(٣) شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٠ . حيث يعرف المعجزة بأنها فى العرف : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة .

[٢] أنها « فعل خارق للعادة فعله فاعله لغرض تصديق المدعى »[١]

ونحن نرى : أن التعبير بلفظ أمر على ما هو وارد فى تعريف الفخر الرازى الأول أعم من غيره ، باعتبار أن الأمر يشمل الفعل والترك على الناحية الوجودية ، وفى نفس الوقت فإنه يتعلق بالإيجاب والسلب ، ولذا رأينا تعريف الفخر قد استفاده غيره منه .

وآية ذلك : أن الإمام السيوطى[٢] - رحمه الله - عرف المعجزة بأنها : « أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، سالم عن المعارضة »[٣] ، التى لو لم تقع ما صدق أحد بأن المدعى نبى .

(١) العلامة الفخر الرازى - مفاتيح الغيب م١١ جـ٢١ ص٦٥ - طبعة دار الغد العربى .

(٢) هو العلامة أبو الفضل عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر جلال الدين الخضيرى السيوطى . وهو من أسرة فارسية من ناحية الأب ، ويذكر السخاوى أن أمه كانت تركية . وقد عاشت الأسرة فى بغداد ، ثم انتقلت إلى أسيوط بصعيد مصر ، وقد ولد السيوطى ٨٤٩هـ ، وعاش قرابة اثنين وستين عاما ، سكن بالروضة بالقاهرة ، وتوفى بها ، ومن شيوخه : جلال الدين المحلى ، وتلقى العلم عن الإجلاء ، وله العديد من المؤلفات . راجع الضوء اللامع للسخاوى جـ٤ ص٦٥ ، وكذلك شذرات الذهب لابن العماد جـ٨ ص٥١٨ وما بعدها ، وحسن المحاضرة للسيوطى نفسه .

(٣) الإمام السيوطى - جلال الدين السيوطى - الإتقان فى علوم القرآن جـ٤ ص٣ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

إذا جمهور الأشاعرة يتمسكون بالتعاريف السابقة ، وينتهون إلى أنها « فعل يظهر على يد مدعى النبوة ، بخلاف العادة فى زمان التكليف ، موافقا لدعواه . وهو يدعو الخلق إلى معارضته . ويتحداهم ، أن يأتوا بمثله . فيعجزوا عنه . فيتبين به صدق من يظهر على يديه »[1] .

غير أنى أذهب إلى أن كثرة التعاريف إنما تدل على مدى عناية القوم بالتراث الإسلامى ، كما تدل على اهتمامهم ببحث القضايا الكلامية ، التى توضح حقيقة مسألة من المسائل الشرعية .

بدليل أن الماتريدية كالأشاعرة يتمسكون بالمعجزة . يعرفونها بأنها « ظهور أمر بخلاف العادة فى دار التكليف لإظهار صدق مدعى النبوة ، مع نقول من يتحدى به عن معارضته بمثله »[2] .

---

(١) العلامة أبو المظفر الأسفرايني – التبصير فى الدين . وبيان الفرقة الناجية ص١٠٤ .

(٢) الإمام أبو المعين النسفى – كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص٢٣٦ – تحقيق جبب الله حسن أحمد – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

وفى نفس الوقت ، فإن العلامة النسفى[١] يشـرح ذلـك التعريـف بقيوده ليخرج المعجزة من سائر الخوارق ، بحيث تكون متميزة ، عـن ما سواها .

فيقول : « وإنما قيدنا المعجزة وظهور أمـر بخـلاف العـادة فـى دار التكليف ، لأن ما يظهر من الناقض للعادة فى دار الأخـر لا يكـون معجزة . وإنما قلنا لإظهار صدق مدعى النبوة ، ليقـع الاحـتراز بـه ، عما يظهر على يـد مدعـى الألوهيـة ، إذ ظـهور ذلـك علـى يـده جـائز عندنا[٢] .

وفيه أيضا : احتراز عما يظهر علـى يـد الـولى ، إذ ظـهور ذلـك كرامة للولى جائز عندنا[٣] .

---

(١) هو ميمون بن محمد بن معبد بن مكحول أبو المعين النسفى الحنفى ، عالم بالأصول والكـلام . سكن بخارى ، ولد – رحمه الله – سنة ٤١٨هـ ، وتوفى سنة ٥٠٨هـ ، مـن آثـاره « بحر الكلام ، تبصرة الأدلة ، التمهيد لقواعد التوحيد » – راجع الأعـلام للزركلـى جـ٨ ص٣٠١ .

(٢) وهذا ما يعرف عند المتكلمين بالاستدراج – راجع حاشية الأمير . وكذلك حاشية العلامـة الباجورى ط١ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣) العلامة النسفى – كتاب التمهيد ص٢٣٦ .

ولم يقف الأمر عند الأشاعرة والماتريدية متقدميهم والمتأخرين . وإنما رأينا المعتزلة يذهبون في تعريف المعجزة بأنها « الفعل الذى يدل على صدق المدعى للنبوة »[1] .

« بحيث لا يخرج الفعل عن التصديق للمدعى . فلو خرج عن التصديق ما كان معجزة . وإنما كان استدراجا أو إهانة »[2] .

وإذا نظرنا إلى المعتزلة كما نظرنا إلى الماتريدية والأشاعرة ، فإن الشيعة هم الآخرون يبدون عناية شديدة بإظهار المعجزة والتمسك بها .

حيث يعرفون المعجزة بأنها « ما يأتى على يد النبى بعناية الله الخاصة ، خارقا للعادة ، وخارجا عن حدود القدرة البشرية ، وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلا على صدق النبى وحجته فى دعواه النبوة »[3] .

---

(١) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى - شرح الأصول الخمسة - ٥٦٩ .

(٢) القاضى عبدالجبار - المغنى فى أبواب التوحيد والعدل جـ١٥ . التنبؤات والمعجزات ص١٤٧ - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) العلامة الطبرسى - مجمع البيان فى تفسير القرآن - جـ١ ص٢ من المقدمة - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر .

وفى تقديرى : أن متقدمى المفكرين المسلمين قد بذلوا جهودا كبيره فى التعريف بالمعجزة ، وكذلك صنع المحدثون منهم .

فيذكر الإمام محمد عبده – رحمه الله – « أن المعجزة لابد أن تكون مقرونة بالتحدى عند دعوى النبوة ، كما أن ظهورها يعتبر من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يديه ، لأن النبى يستند إليها فى دعواه ، أنه مبلغ عن الله ، وبالتالى فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له فى تلك الدعوى ... ،

وبناء عليه فمتى ظهرت المعجزة – وهى مما لا يقدر عليه البشر – وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة ، أن الله تعالى ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يديه »[1] .

ولم يكن الشيخ " محمد عبده " من المحدثين وحده الذين عنوا بتعريف المعجزة بدليل أن العلامة الزرقانى[2] هو الآخر . ذهب فى تعريفها إلى أنها : « أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان

---

(١) الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص٨٦ طبعة المنار ١٣٨٦هـ .

(٢) هو أحد علماء المسلمين فى القرن العشرين ، وشيخ من شيوخ المفسرين . من اشهر مؤلفاته : « مناهل العرفان فى علوم القرآن » رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

بمثله ، أو هى أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأشياء المعروفة ، يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه[1] .

وفى تقديرى : أن تعريف المعجزة لن يتوقف مادام المفكرون المسلمون يجتهدون فى أمرها ، ويحاولون التمسك بالنقل المنزل ، بجانب الرغبة الشديدة فى خدمة الشرع الشريف . وليس أدل على ذلك مما سبق ذكره .

أضف إليه أن العلامة الايجى يذهب فى تعريف المعجزة بأنها « ما قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول الله »[2] . وسيظل الأمر قائما فى إثبات المعجزات للتصديق بخبر النبوات ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وتلك مسألة قل أن تجد من لا يتعرض إليها . أو لا يجتهد فى تقديم التعاريف التى يراها تخدم ذات المصلحة .

(١) العلامة الشيخ / محمد عبدالعظيم الزرقانى - مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ١ ص٧٣/٧٤ .

(٢) العلامة عضد الدين الايجى - المواقف ص٣٣٩ .

يقول أحد المعاصرين : « المعجزة حدث فريد ، يجرى على غير مألوف الحياة ، ويخرج على ما بين الأسباب والمسببات من تلازم[1] عادى ، بحيث يكون ذلك الخروج هو الدليل على أن من أدعى النبوة صادق فى دعواه ، ما دام ذلك لتأكيد خبر النبوة ، وتثبيتها فى النفوس » .

وهناك دراسة محدثة انتهت إلى أن المعجزة « أمر خارق لما جرت به العادة يظهره الله على يد رجل يدعى النبوة ، ويصدقه الله فى دعواه ، مع عجز جميع الخلائق القادرين على المعارضة عن معارضته ، أو الإتيان بمثله ، أو أن يكون ذلك كله فى زمان التكليف ، الذى تجرى فيه العادة ، وأن يكون الخارق على سبيل التحدى فى الإمكانيات المتاحة لتلك الخلائق »[2] .

وفى تقديرى : أن تعريف تلك الدراسة لم يقدم جديدا فى المسألة ، بل الأقرب إلى القول أنه تعريف مكرر ، إذ بملاحظة أجزائه يتبين لنا أنه لم يخرج عن تعريف العلامة البغدادى ، وبالتالى فهو لم

(١) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – النبى محمد عليه الصلاة والسلام ص٥٧ .

(٢) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – رسالة ماجستير بكلية البنات جامعة عين شمس ص٢٩٤/٢٩٥ .

يقدم جديدا ، إذ أن تعريف العلامة البغدادى[1] جاء شاملا لكل تلك الجزئيات التى تعرضت إليها الدراسة الحديثة .

ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن تلك الجهود التى قامت حول تعريف المعجزة إنما تدل على كونها واقعة فعلا . وكانت ممكنة باعتبار أنها خارق عادة ، وليست مستحيلة ، إذ لا يستحيل على الله شيء أبدا ، ولذا فإن العلماء ينسبونها إلى فعل الله . وليست إلى فعل النبى ، باعتبار أن الفاعل الحقيقى لها جميعا هو الله جل علاه ، وليس للنبى إلا مجرد مقارنتها لدعواه النبوة .

- **والذى أميل إليه** : أن المعجزة لا تكون راجعة إلى ذات النبى ، أو ملكات فيه . وإنما هى راجعة إلى الله تعالى . تفضلا منه ورحمة ، كما ان النبوة هى الأخرى تأتى تفضلا من الله تعالى ، وذلك الامتياز الذى يكون للنبى . إنما هو امتياز من قبل الله تعالى لا من قبل النبى نفسه .

---

(١) حيث يعرف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه ، مقرونا هذا الأمر بالتحدى . مع عدم المعارضة ، وعجز جميع الناس عن الإتيان بمثله ، وأن يكون المعجز موافقا لدعوى النبى فى دعواه ، وأن يتم ذلك فى زمان التكليف – أصول الدين ص ١٧٠ .

ولذا يقول العلامة الشهرستانى[1] : « إن النبى إنسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على أنها من عند ربه تعالى »[2] ، فالنبوة من عند الله لا باستحقاق من النبى ، وكذلك المعجزة التى هى « قوة إلهية ، تبعث على النفس ذلك التأثير باعتبار أنه مؤيد بروح الله على فعله ذلك »[3] .

وإذا كان هناك من يذهبون إلى أن المعجزات تجرى على سنن الطبيعة ، وأسبابها ، وأنها راجعة إلى نفس النبى الصافية ، بحيث يستطيع الإتيان بها متى شاء ، وفى أى وقت أراد[4] ، فإن ذلك القول

---

(١) هو محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستانى ، ولد سنة ٤٦٩هـ ، وتوفى ٥٤٨هـ ، وهو من فلاسفة الإسلام ، كان إماماً فى علم الكلام وأديان الأمم . والمذاهب والفلاسفة . ولد رحمه الله فى شهرستان بين النيسابور وخوارزم ، انتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ . فأقام ثلاث سنين وعاد إلى بلده ، ومن مؤلفاته : « الملل والنحل . تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام ، نهاية الإقدام » راجع وفيات الأعيان جـ١ ص٤٨٢ .

(٢) العلامة الشهرستانى - الملل والنحل جـ٣ ص٤٤ .

(٣) العلامة عبدالرحمن بن خلدون - المقدمة ص٥٠٢ - دار القلم - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨١م .

(٤) يمثل هذا القول ينتهى رأى بعض الفلاسفة . إذ يرى ابن سينا : أن النبى المبلغ « ما استفاده من الإفاضة يسمى وحيا » - الشيخ الرئيس ابن سينا - الرسالة العرشية ص٨ - طبعة حيدر آباد ١٣٥٤هـ ضمن مجموعة .

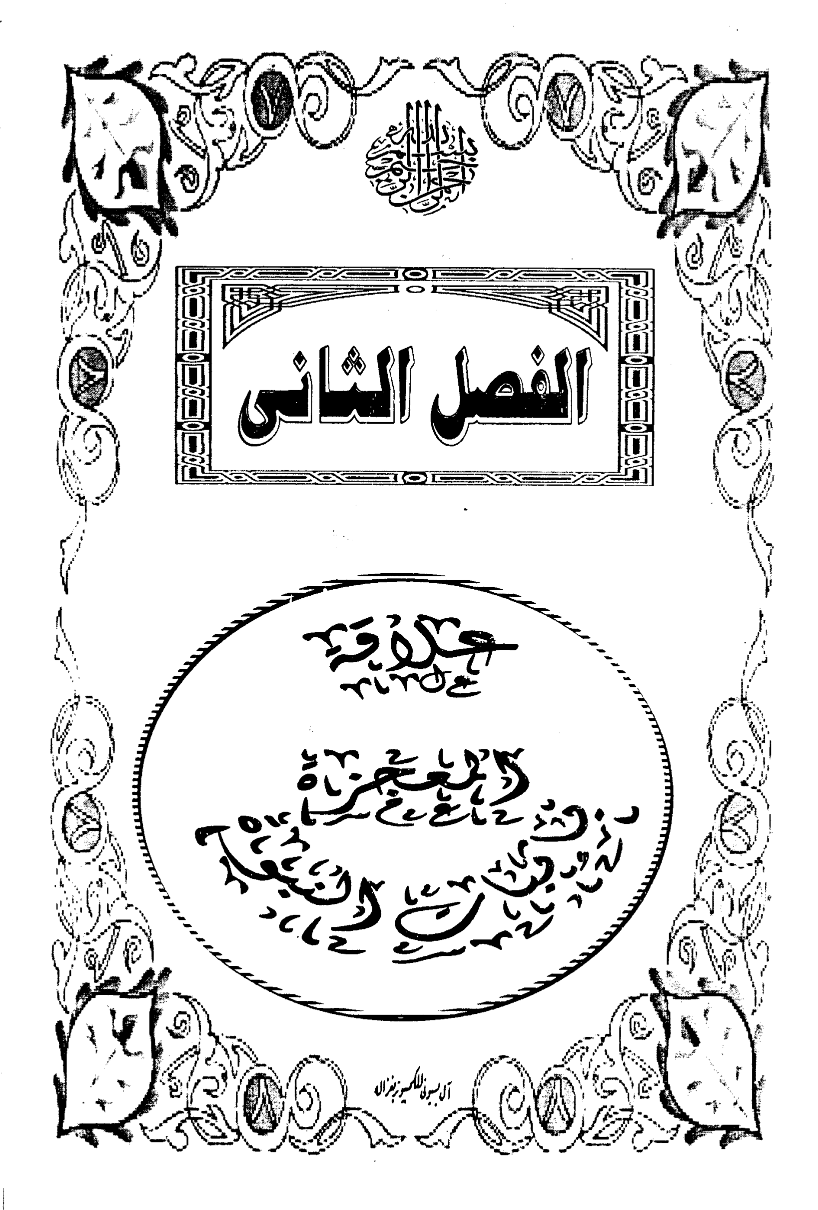
لا تدعمه أدلـة ، وإنما تجرى حوله الظنون ، ويعتصم بكثير من الشبهات ، التى تعجز عن المدافعة ، وتهبط أسهمها عند المنازلة .

ولسنا نملك إلا القول بأن المعجزة منحة . والنبوة منحة . وما كان بالمنح من الله تعالى ، فهو من فضل الله ، وإذا جرى على من جرى عليه ، فإن ذلك راجع إلى فضل الله عز وجل . ولا عبرة بمن يخالف ذلك . لأن الله تعالى قال ﴿ " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " ﴾[1] .

وما دام الله جل علاه هو المصطفى . ويوجد هناك أشخاص مصطفون ، فإن الأمر كله متعلق عندنا بمنح الله تعالى أفضاله وأنعمه التى لا تحصى ، ومنها : (النبوة والمعجزة ، وما كان من ذلك القبيل أو غيره) ، وهو الذى تطمئن إليه النفس . ويهدأ فى رحابه الضمير .

---

(١) سورة الحج الآية ٧٥ .



الفصل الثاني

علاقة المعجزة بزمان البعثة



عرضنا فيما سلف تعريف المعجزة على الناحية اللغوية والاصطلاحية ، وبان لنا أن أهل الإسلام يتمسكون بها ، ويحافظون عليها ، باعتبار أنها رحمة من رحمات الله تعالى ، ومن كان ذلك شأنه فلا شك أنه مكرم عند الله تعالى .

غير أن البعض قد يذهب إلى إنكار النبوات كفرا وجحداً ، أو رغبة فى المخالفة عناداً ولجا ، وبالتالى فهو ينكر المعجزات طبقا لإنكاره النبوات ، بمعنى أنه مادام قد أنكر النبوات ، فهو لن يصدق أبدا بالمعجزات،كما فعل ذلك البراهمة والسُمنية والصائبة ، وغيرهم من الفرق التى أنكرت النبوات ، وأنكرت كذلك المعجزات قديما[1]

(١) من أنكر النبوات قديما البراهمة ، والصابئة ، ومعطلة العرب ، والسُمنية ، والتناسخية ، وكان لهم دوافع مشتركة فصلها أهل الإسلام ، وأبانوا فسادها - راجع الإرشاد لإمام الحرمين ص٣٠٢ وما بعدها ، وأصول الدين للعلامة البغدادى ص١٥٤ وما بعدها . والنبوات لابن تيميه ص٢٥ وما بعدها ، وكذلك الملل والنحل والفصل ، وغيرها من المؤلفات العلمية التى قد عنيت ببيان المنكرين وشبههم التى اعتمدوا عليها ، وأبانت عن فسادها .

وحديثا[1] .

بيد أن هؤلاء المنكرين للنبوات الواقفين موقف الرفض للمعجزات ، لا يمكن قبولهم ، ولا يمكن الوقوف عند مجرد ظنونهم ، وقديما قال العلامة البوصيرى :

وإذا البينات لم تغن شيئا ∴ فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم ∴ فماذا تقوله النصحاء

رب إن الهدى هداك وآيا ∴ تك نور تهدى به من تشاء[2]

وإذا كان الإمام البوصيرى قد نعى على أولئك المنكرين للنبوات بأنهم لم يفقهوا تعاليم الله ، فإن موقفهم من المعجزات ينطبق عليه نفس الحكم ، ومن كان ذلك شأنه . فإن دفعه أو مقاومة آرائه . ليس من فروض الكفاية ، وإنما هو فرض عين .

(١) حيث ظهرت فرق التناسخية والعلمانية والماركسية ، وغيرها من الفرق الضالة . التى نحت هذا المنحى ، وسارت خلف القائلين به ، ولكن القرآن الكريم والحديث الشريف . وجهود مفكرى المسلمين قد أبانت فساد قول هؤلاء وأولئك . وانتهت إلى أن ما هو تثبت بالأدلة الصحيحة ، لا يطعن عليه ما هو قائم على مجرد الاحتمالات والظنون .

(٢) العلامة شرف الدين البوصيرى – ديوان البوصيرى (الهمزية) ص١١٣ .

ولذا فأنا نرى ضرورة بحث العلاقة بين النبوة والمعجزة حتى نلقم أولئك المجادلين أحجارهم فى أفواههم ، ﴿ " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " ﴾[1] .

والبادى أن علماء المسلمين مقرون بالنبوات والمعجزات ، وفى نفس الوقت فإنهم يؤكدون أن النبوة تثبت بأحد الطرق الآتية ، أو بها كلها .

- الطريق الأول : المعجزات العقلية والحسية .
- الطريق الثانى : الصفات الشخصية والسيرة الذاتية للنبى قبل البعثة وبعدها .
- الطريق الثالث : أخبار الكتب السماوية والأنبياء السابقين بنبوته ﷺ[2] .

(١) سورة يوسف الآية ٢١ .

(٢) الأستاذ الشيخ / محمود أبو دقيقة – منكرات التوحيد المقررة على طلبة السنة الرابعة بكلية أصول الدين ص٣٤ لسنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

وقد يذهب البعض إلى أن النبوة تثبت بأمرين : الأول : المعجزة ، والثانى : ما ظهر من سيرته الذاتية ، بينما يذهب آخرون إلى غير ذلك .

ولكننا نرى : أن النبوة تثبت بكل واحد مما ذكر ، كما تثبت بكل منها مجتمعة ، وهو الذى نميل إليه . أما لماذا ؟

فلأن البعض يذهب إلى تفهم الآيات القرآنية ، ثم يستقى منها مثبتات النبوة ، وينتهى إلى أنها :

(١) **الوحى المنزل** سواء تمثل فى كتاب أو صحف سماوية .

(٢) **المعجزة الدالة على صدق ذات النبى فى دعواه النبوة** . ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ " وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ " ﴾[١] .

(٣) **الاصطفاء القائم من بنى البشر** ، قال تعالى ﴿ " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا من بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ﴾[٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران - الآيتان ٣٣/٣٤ .

ولما كانت وحدة الرسالات السماوية « فيما تهدف إليه من هداية الإنسان وإقامة الدين ، فهى ليست إلا حلقات متتابعة فى سلسلة واحدة ، ولبنات متساندة متعاونة ، يشد بعضها بعضا ، فى بناء واحد ، هو الوحى الإلهى »[1] ، فإن الاصطفاء الإلهى يكون قاسما مشتركا بين الجميع .

(٤) **طبيعة الرسول الذى اصطفاه الله** ، وجعله قادراً على تلقى الوحى عن الله ، وجعل له دلائل النبوة وبراهينها ، لتكون هى العلامات الدالة على تأييد الله له « وكما أن الآيات التى هى كلامه تتضمن أخباره لعبادة وأمره لهم ، ففيها الإعلام والإلزام ، فكذلك دلائل النبوة ، هى آيات منه تتضمن إخباره لعباده ، بان هذا رسوله ، وأمره لهم بطاعته ، ففيها الإعلام والإلزام معا »[2] .

إذا : علماء الإسلام يؤكدون أن النبوة تثبت بأحد طرق منها : المعجزة ، لكن :

(١) الدكتور/ صلاح عبدالعليم إبراهيم – العقيدة فى ضوء القرآن الكريم – جـ١ ص٢٥٦ – مكتبة الأزهر – ط الأولى عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٢) العلامة شيخ الإسلام ابن تيميه – النبوات ص١٥٩ من مجموع الفتاوى .

◈ هل تغلب المعجزة غيرها ؟

◈ أم أن غيرها يغلبها ؟

◈ أم تتساوى الكفتان ويصير فى اتجاه واحد الأمران ؟

والجواب : أن هناك طرائق تحتاج إلى التفصيل :-

الطريق الأول
أصحاب القول بإثبات النبوات بالمعجزات وحدها

وهذا الفريق يؤكد على أن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة ، بمعنى أن المعجزة هى الطريق الوحيد لإثبات النبوة ، والطرق الأخرى إنما هى مؤكدات على النبوة بعد ثباتها ، بمعنى أن إثبات النبوة متوقف على المعجزة وحدها .

يقول العلامة أبو بكر بن فورك[1] ، « المعجزات دلالات الصدق على النبوات ، ثم أن أدعى صاحبها النبوة ، فالمعجزات هى التى تدل

(١) هو العلامة أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى - صاحب كتاب تجريد مقالات أبي الحسن الأشعرى ، وهو أكثر الناس قربا بالأشعرى والتصاقا به ، وأكثر من يعبر عن رأى الشيخ ، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٣ ص٢٠٣ .

وحدها على صدقه فى مقالته »[1] .

وكذلك يقول إمام الحرمين الجوينى[2] : « أنـــه لا يمكـن نصـب دليل على النبوة سوى المعجزة »[3] .

وكذلك يذهب العلامة الباقلانى[4] ، حيث ينتهى إلى « أن صدق مدعى النبوة لا يثبت بمجرد دعواه ، وإنما يثبت بالمعجزات وحدها ،

---

(١) الإمام القشيرى – الرسالة القشيرية ص٢٧٤ .

(٢) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى أبو المعالى ركن الدين الملقـــب بإمـــام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور ، ورحل إلى بغداد فمكة ، حيث جاور أربع سنين من مؤلفاته « العقيـــدة النظاميـــة ، الشـــامل ، الإرشاد ... » الخ – راجع الإعلام جـــ٤ ص٣٠٦ ، وهدية العارفين جـــ١ ص٦٢٦ .

(٣) راجع إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص١٣٢ .

(٤) القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلان البصرى المتكلـــم المشهور ، أشعرى المذهب ، بل من الناصرين له ، سكن بغداد ، وصنف تصانيف كثـيرة فى علم الكلام وغيره ، وكان أوحد زمانه فى علمه ، وانتهت إليه الرياسة فى مذهبه ، تـــوفى – رحمه الله – سنة ٤٠٣هـــ ببغداد ، ومن تصانيفه « إعجاز القرآن ، الانتصـــار ، كشـــف الأسرار ، الإنصاف » راجع وفيات الأعيان جـــ٣ ص٤٠١ ، وهدية العـــارفين جـــــ٢ ص٥٩ .

وحدها ، وهى أفعال الله الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم الأمم بالإتيان بمثل ذلك »[١] .

والى مثل هذا الرأى ذهب العلامة الطوسى ، حيث يقول « وبناء عليه فإن المعجزة هى الطريق الوحيد »[٢] .

ويذهب إلى قريب من ذلك الرأى العلامة ابن تيميه الذى ينتهى إلى أن ما يجرى على « أيدى الأنبياء والرسل لإثبات رسالتهم هو المعجزات »[٣] ، ولا شيء غيرها يمكن أن تثبت به النبوة .

فإذا انتهى الأمر إلى أن المعجزة « هى العلامة الدالة على صدق النبى فى دعواه النبوة والرسالة ، فإن الأمر المؤكد هو إقامة النبوة على المعجزة من غير اعتبار لشيء أخر »[٤] .

---

(١) العلامة القاضى الباقلانى – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ص٦١ – تحقيق الشيخ الكوثرى ط الثانية الخانجى ١٩٦٣م .

(٢) العلامة نصير الدين الطوسى – تلخيص المحصل ص٢٠٧ – هامش المحصل – طبعة مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيميه – المعجزة وكرامات الأولياء ص٤٠ – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .

(٤) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٢٦٦ .

ولا يغرب عن الحقيقة إذا قلنا أن هذا الرأى – إقامة النبوة على المعجزة وحدها – قد مال إليه جمع كبير من شيوخ المذهب ، وشيوخ المذاهب الأخرى من أهل السنة والجماعة وغيرهم ، بل انه تحصن به جمع كبير من المتكلمين ، سواء كان ذلك من المتأخرين أو المتقدمين ، فضلا عن الشراح والمحققين يقول العلامة إمام الحرمين : « إنما يثبت صدق مدعى النبوة بالمعجزات »[1] .

وحيث قطع ذلك الفريق بان النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة ، فقد أستقر الأمر عندهم على أنها إذا لم تقع لم تثبت النبوة ، أما إذا وقعت ، فقد تحققت النبوة ، فصارت العلاقة بينهما أقرب ما يكون إلى مفهوم التلازم العقلى ، بحيث يعم كل علاقة تقوم بين المعجزة والنبوة .

فإذا ظهرت المعجزة ثبتت النبوة ، وإذا ثبتت النبوة فلابد أن المعجزة قد سبقتها فى نفس الإثبات من غير تردد فى الحكم ، متى كان الأمر قائما على مفهوم التحدى والمعارضة والرغبة فى إثبات

(١) إمام الحرمين الجوينى – لمع الأدلة ص١١٠ – تحقيق الدكتورة / فوقية حسين محمود – ط أولى سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

النبوة أو التصديق على صحة دعواها ، وذلك مما يمثل أحد الآراء المطروحة فى المسألة .

الطريق الثانى
أصحاب القول بإثبات النبوات بالمعجزات وغيرها

يذهب أصحاب ذلك الرأى إلى أن « المعجزات دليل صحيح لإثبات النبوات . ولكن الدليل ليس محصورا فى المعجزات وحدها »[1] ، باعتبار أن ما يرد عن طريق المعجزات وتثبت به النبوة قد يرد غيره من صفات الرسول مثلا ، وتثبت به النبوة أيضا .

ويذهب إلى نفس الرأى شيخ الإسلام ابن تيميه الذى يقول « أن دلائل النبوة هى كلها تدل على صدق النبى »[2] . سواء سميت بالمعجزات أو سميت بغيرها من الصفات الشخصية . والسيرة الذاتية ، وغير ذلك من شيوع الأخبار عنه .

(١) العلامة الشيخ على بن على بن محمد بن أبى العز - شرح العقيدة الطحاوية ص٦٥ وما بعدها .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيميه - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٢٧٤ طبعة المدنى .

وفى نفس الوقت فإن الإمام الرازى يؤكد على أن المعجــزة ليسـت هى الدليل الوحيد على إثبات النبوة ، وإن كانت دليلا واضحـا ، وفـى إثبات النبوة به تأكيد . أما لماذا ؟

فلأن الإمام الفخـر الـرازى يقـول : « إن الطريـق إلي إثبـات نبـوة الأنبياء - عليهم السلام - أمران :

الأول : أن نقول أن هذا الشخص قد ادعى النبوة ، وظهرت المعجـزة على يديه ، وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصدقا ، وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى ، وقرره على احسن الوجوه .

قال تعالى ﴿ " وما كان هـذا القـرآن أن يفـترى مـن دون اللـه ولـكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا مـن اسـتطعتم مـن دون الله إن كنتم صادقين " ﴾[1] .

... وهذا الطريق هو نفسه ما عليه أرباب الملل والنحل ، وقد أكد عليه الإمام الفخر ، واستمر محافظا عليه باعتبار أنه الدليل النقلـى ،

(١) سورة يونس الآيتان ٣٨/٣٧ . راجع مفاتيح الغيب للأمام الفخر الـرازى - م٨ ص٣٨٥ وما بعدها ط دار الغد العربي .

ولكنه فى ذات الوقت يراه ليس فى قوة الثانى الذى سيذكره لقربه من العقل ، وقلة الشبهات الواردة عليه »[1] .

الأمر الثانى[2] : « أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق . والعمل الصالح ما هو ؟ فكل من جاء ودعا الخلق إليه ، وحملهم عليه . وكانت لنفسه قوة قوية فى نقل الناس من الكفر إلى الإيمان ، ومن الاعتقاد الباطل إلى الاعتقاد الحق . ومن الأعمال الداعية إلى الدنيا إلى الأعمال الداعية إلى الآخرة ، فهو النبى الحق الصادق المصدق »[3] .

« ولئن كان الفخر الرازى قد رجح طريق العقل فى إثبات النبوة على طريق المعجزة ، فما ذلك إلا لأنه يركز على برهان (الإن)، لا برهان (اللم)، باعتبار أن برهان (الأن) هو الذى يكون الحد الأوسط

(١) العلامة الفخر الرازى – المطالب العالية جـ٨ ص١٠٣ – تحقيق الدكتور / أحمد حجازى السقا .

(٢) هذا الأمر الثانى للفخر الرازى باعتبار أن الأول قائم على الدليل النقلى . فيأتى الثانى قائما على الدليل العقلى .

(٣) العلامة الفخر الرازى – مفاتيح الغيب جـ١٦ ص٣٨٦ .

فيه علة للنسبة الحكمية ، فى الذهن فقط ، كقولنا : هذا محموم ، وكل محموم فهو متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط »[1] .

فى نفس الوقت فإن الإمام الرازى ينتهى إلى أن أمر النبوة لا يثبت فى الذهن عن طريق البرهان (اللمى) ، وإنما على (الإنى) الذى يفيد ثبوت الحكم فى الذهن فقط ، ولا يمنع ذلك من القول بأن الشيخ تمسك بالبرهان (اللمى) لا باعتبار النسبة ، وإنما باعتبار العلة .

مثال : قولنا : (هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفن الأخلاط فهو محموم ، فهذا محموم)[2] .

ولاشك أن الإمام الفخر الرازى قد فتح الطريق لإثبات النبوات بغير ما ذكر . حيث قرر فى مؤلفاته أن من طريق إثبات النبوة « قدرة النبى على تكميل الناقصتين »[3] .

(١) الدكتور / محمد شمس الدين إبراهيم السكندرى – تحرير القواعد المنطقية جـ٢ ص١٦٧ ، ويعرف البرهان : بأنه هو القياس المؤلف من اليقينات ، سواء كانت ابتداء وهى الضروريات ، أو بواسطة وهى النظريات . والحد الأوسط فيه لابد وأن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر ، فإن كان مع ذلك علة لوجود تلك النسبة فى الخارج أيضا ، فهو برهان " لمى " : كقولنا : هذا متعفن الأخلاط . وكل متعفن الأخلاط محموم . فهذا محموم . فعفن الأخلاط . كما أنه علة لثبوت الحمى فى الذهن . كذلك علة الثبوت الحمى فى الخارج ، وإن لم يكن كذلك لا يكون علة للنسبة إلا فى الذهن ، فهو برهان " إنى " ، كقولنا : هذا محموم ، وكل محموم متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط ، فالحمى وإن كانت علة لثبوت تعفن الأخلاط فى الذهن ، إلا أنها ليست علة له فى الخارج ، بل الأمر بالعكس ، وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان " لمى " ، ومن المعلول إلى العلة برهان " إنى " – راجع التعريفات للجرجانى ص٣٧ ، وكذلك : المرشد السليم للدكتور / عوض الله حجازى.

(٢) المرجع السابق ص١٦٧ .

(٣) الإمام الفخر الرازى – المطالب العالية جـ٨ ص١٠٤ .

وفي تقديري : أن الإمام الفخر الرازي يمكن اعتباره إحدى الدعامات القوية التي قام عليها المذهب الأشعري ، ومع هذا فهو قد يخالف بعض الأشاعرة فيما انتهى إليه أمرهم باعتبار طرائق إثبات النبوات بالمعجزات وحدها ، أو بها وغيرها .

وآية ذلك أنا رأينا من متقدمي الأشاعرة « ابن فورك . والجويني ، والباقلاني » كما رأينا من متأخريهم من يذهب إلى أن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة وحدها ، فإذا بنا هنا نجد الرازي يؤكد على مجموعة من الطرائق تثبت بها النبوة ، وليست المعجزة وحدها على ما ذهب إليه غيره .

ولا يمكن النظر إلى صنيع الفخر الرازي بأنه خروج على إلف القوم أو عادتهم ، وإنما يمثل نوعا من ثراء الفكرة بجانب قوة المعنى ، وعمق المضمون ، كما يمثل مظهرا من مظاهر الحرية العقلية ، التي عرفها المفكرون المسلمون من خلال تفهمهم لآيات القرآن الكريم وأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين .

ولم يكن الإمام الرازي ومن معه من الأشاعرة هم وحدهم الذين يذهبون إلى أن النبوة لا تثبت بالمعجزة وحدها ، أو أن المعجزة هي

الطريق الوحيد لإثبات النبوة ، وإنما رأينا فى دعاة السلفية من يذهب نفس مذهب الأشاعرة .

يقول شارح الطحاوية[1] « إن المعجزات دليل صحيح لإثبات النبوة ، ولكن الدليل غير محصور فى المعجزات ، فإن النبوة يدعيها أصدق الصادقين وأكذب الكاذبين ، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين »[2] ، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما ، وتعرف بهما . والتميز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة »[3] .

وإذا نظرنا إلى رأى شارح الطحاوية ، وقارناه برأى الإمام الفخر الرازى ، وجدناهما يسيران فى اتجاه واحد ، من حيث الألفاظ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأذوى الصحاوى أبو جعفر ، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ، ولد رحمه الله ونشأ فى طحا فى صعيد مصر سنة ٢٣٩هـ ، وتفقه فى مذهب الإمام الشافعى ، وتوفى بالقاهرة سنة ٣٢١هـ - راجع الأعلام للزريكلى جـ١ ص١٩٧ .

(٢) يريد بيان الفرق بين المدعى للنبوة الصادق ، وبين غيره من دعاة النبوة الكاذبين ، وكذلك أصحاب خوارق العادات التى يمكن إتقانها كالسحر والشعوذة وغيرها .

(٣) الإمام على بن أبى العز الحنفى - شرح العقيدة الطحاوية ص٨١ - تحقيق الأستاذ / أحمد محمد شاكر - مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠هـ .

والمفاهيم ، واستنطاق الأدلة ، بحيث يمكن القول بأن الأشاعرة ودعاة السلفية يتفقون على أن المعجزة وحدها لا تثبت بها النبوة انحصارا ، وإن كانت تثبت بها ، وتقوم عليها مع غيرها ، والفرق بين التعبيرين كبير .

فى نفس الوقت فإن شيخ الإسلام ابن تيميه هو الأخر يرفض أن تكون النبوة منحصرة – من جهة إثباتها – فى المعجزات ، وإنما يذهب إلى أن « دلائل النبوة هى كلها تدل على صدق النبى فى دعواه »[1] .

وبالتالى فإن دلائل النبوة عند شيخ الإسلام ابن تيميه لا تقتصر على شيء واحد هو المعجزة ، وإنما يذهب إلى العديد من الدلائل التى يراها جميعا تقوم عليها النبوة ، ولا تستقل واحدة بها . بحيث تنقطع باقى الدلائل .

◈ **وربما تسأل** : ماهى الدلائل الأخرى عند ابن تيميه على أن المعجزة وحدها لا تثبت بها النبوة ، أو أنها لا تستقل وحدها بإثبات النبوة ؟

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٢٧٤ .

والجواب : أن شيخ الإسلام ابن تيميه يركز على أن « كثيرا من الناس يحصل لهم علما ضرورى بأن هذا النبى صادق فيما يبلغ عن الله ، وهذا المتنبئ كاذب ، وذلك كله إنما يتم قبل أن يروا خارقا للعادة ، منفصلا عنه »[1] ، فالعلم الضرورى الذى يخلقه الله فى نفوس الناس الذين جاء الرسول يدعوهم إلى الله عن طريقه يراه ابن تيميه أحد الدلائل على إثبات النبوة .

ولست أرى فى هذا جديدا قام به شيوخ دعاة السلفية ، لأن تلك المسألة – خلق العلم الضرورى – قد نبه إليها الإمام " الغزالى " فى اقتصاده .

كما أشار إليها العلامة " الفخر الرازى " فى أربعينه ومطالبه ، بحيث صارت معلما من معالم الفكر الأشعرى ، بل أن الإمام " السعد التفتازانى " هو الأخر قد نبه إليها ، وذلك أثناء عرضه لشبهات منكرى النبوة ، وبين أن النبوة تثبت على القوم ، بأن يخلق الله العلم الضرورى فى نفس ا لمدعوين ، فيكون بمثابة الدليل القائم على تصديق الله لرسوله ، والتأكيد على أنه من قبل الله مرسل .

(١) المصدر السابق جـ٤ ص٣١٠ .

يقول أحد الباحثين موضحا قول الإمام السعد : « فالخلق يعرفون أن الله هو الخالق الرازق ، من غير أن يبعث بهذه الأمور رسولا ، ولا تنازع العقول السليمة فى ثبوت ألوهيته تعالى بذلك العلم الضرورى المخلوق من قبل الله عز وجل فيهم .

وبناء عليه فإنه سبحانه وتعالى يمكنه أن يخلق فى المرسل إليهم علما ضروريا بصدق الرسول القائم بين أيديهم . فيتم لهم الإيمان به بمجرد إبلاغه عن نفسه »[1] .

ويستشهد لما ذهب إليه بقول الله تعالى ﴿ " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لمآ آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين " ﴾[2] .

وإن كنا نوافق ما انتهت إليه الدراسة السابقة ، فيما شرحه صاحبها من قول الإمام السعد ، إلا أنا لا نوافقه فى الدليل ، لأن القرآن يقص موقف القرية التى ذهب إليها يونس عليه السلام فأخبرهم

(١) الدكتور / محمد حسنى موسى محمد الغزالى - عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٢٠٩ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٨ .

بنبوته ، وآمنوا به جميعا ، باعتبار أن الآية تحدثت عن سرعة إيمان القوم من غير أن تشير إلى ما إذا كان يونس ﷺ قد أتى لهم بمعجزات أو لم يفعل .

وحتى لا تغلبني عوامل النسيان ، أود القول بأن ابن تيميه – رحمه الله – لا يحب استخدام لفظ المعجزات وإطلاقه على خوارق العادات التي هي المعجزات ، بمعنى أنه يصدق بالمعجزات ، لكنه لا يسميها معجزات ، وإنما يسميها آيات الأنبياء ، أو دلائل الأنبياء ، أو البراهين الدالة على صحة صدق الأنبياء .

◈ **وربما يقال** : ما الدليل على تلك الدعوى ؟

◖ **والجواب** : أن المعجزة عند ابن تيميه هي « كل خارق للعادة في اللغة ، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل ، ويسمونها الآيات ، لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي ، وجماعهما الأمر الخارق للعادة »[1] .

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه – المعجزات والكرامات ص٩ – تحقيق أبي عبدالله محمود امام – مكتبة الطحاوية بطنطا ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

فشيخ الإسلام ابن تيميه يرفض تسميتها معجزات ، لاعتبارات عنده منها :-

الاعتبار الأول : أن اسم المعجزة لم يرد فى القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة ، وو روده فى اللغة ، لا يجعله حاكما على النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما لم يرد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . فلا يصح أن ننسبه لمصدر دينى ، وإن صحت نسبته إلى المنتج العقلى .

الاعتبار الثانى : أن الوارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو لفظ الآية[1] ، والبينة[2] ، والبرهان[3] . وذلك مما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[4] .

(١) من ذلك قوله تعالى ﴿ " ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين " ﴾ سورة آل عمران الآية ٤٩

(٢) من ذلك قول الله تعالى ﴿ " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة " ﴾ سورة البينة الآية ١ .

(٣) من ذلك قوله تعالى ﴿ " اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين " ﴾ سورة القصص الآية ٣٢

(٤) شيخ الإسلام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٦٧ .

- **الاعتبار الثالث** : أن الشواهد لدى السلف الصالح والنظار يسمونها دلائل النبوة وأعلام النبوة وآيات الأنبياء ، ولا يسمونها معجزات ، وإن شذ عنهم البعض فسماها معجزة ، فما ذلك بمقبول عندنا[1] .

وقد انتصر لذلك الرأى بعض العلماء ، حتى أنهم أكدوا على صحة تسميتها دلائل وآيات ، وعدم صحة تسميتها معجزات[2] .

- **الاعتبار الرابع** : أن المعجزات لفظ لدى السابقين قصر على جزء من خوارق العادات ، بينما آيات الأنبياء أعم من خوارق العادات ، ثم أن الاشتراك فى الفعل أو النتيجة ، لا يستلزم الاشتراك فى كافة المقدمات القائمة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : « إن لفظ المعجزات يشمل آيات الأنبياء ، كما يشمل كرامات الأولياء ، ولذا يقع منه الاشتراك . أما

---

(١) المصدر السابق جـ٤ ص٦٧ .

(٢) الدكتور / صلاح عبدالعليم إبراهيم – العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص٧٨ وما بعدها ط أولى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م مكتبة الأزهر .

الآيات والبراهين والبينات الدالة على صدق النبى . فلا تختص إلا بالأنبياء »[1] .

◆ **والذى أميل إليه** : أن الاختلاف فى التسمية ليس خلافا حقيقيا . وإنما هو خلاف فى اللفظ فقط . وإن المتكلمين اللذين استخدموا لفظ المعجزات قام الأمر عندهم على أساس أن اللغة هى ثوب المعنى . واللغة ورد فيها لفظ (عجز ، وأعجز) على جهات عديدة ، واشتق منه اسم الفاعل ، واسم المفعول ، وغيرها مما يرد على جهات الاشتقاق ، ولا ممانعة فى ذلك ما دامت قد صحت به اللغة . ودل على المطلوب ، وهو إثبات وقوع العجز على المرسل إليهم ، وعدم قدرتهم على مجاراة النبى فيه ، ومن كان ذلك شأنه ، فقد ثبت أنه من قبل الله مرسل . وبفضله تعالى مؤيد .

وما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيميه إنما هو المعنى الوارد فى الآيات القرآنية . والأحاديث النبوية ، بدليل أن الآيات التى تحدثت عن معجزات الأنبياء أردفت خلف لفظ البينة أو البرهان . أو الآية أو

---

(١) المصدر السابق جـ٤ ص٦٨ وما بعدها .

الدليل عددا من خوارق ا لعادات ، أو سبقته بها ، فدل الأمر على أن المراد هو المفهوم من اللفظ ، وليس اللفظ نفسه .

وبناء عليه : فإنى أرى اتفاق ابن تيميه والأشاعرة فى المعنى المعبر عنه بالمعجزات ، أو الدلائل والبينات ، أو البراهين والآيات من حيث أنها جميعا تثبت بها النبوات ، ويتحقق من خلالها أمر الرسالات . وهو الذى نؤكد عليه ، ونتمسك به .

ولا يقال : أن مجتهدى الإسلام قد تركوا الاجتهاد ، أو أنهم صاروا عالة على المفكرين القدماء ، لأن هذا الزعم مردود ، بدليل أن الشيخ الإمام محمد عبده – رحمه الله – قد أكد على أن المعجزة من دلائل النبوة ، وليست هى الوحيد الذى ينحصر عليه أمر النبوة ، فيقول : « إن المعجزات وظهورها هو من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده »[1] .

وليست مثبتات النبوة منحصرة فى المعجزة ، باعتبار أن خوارق العادات التى منها المعجزة ، تمثل جانبا من جوانب إثبات النبوة .

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد عبده – رسالة التوحيد ص١١ – تحقيق محمود أبو رية – ط دار المعارف ٩ .

فإذا ثبتت بها النبوة ، فليس معنى ذلك استقلالها بها ، وإنما معناه أن الله خلق العلم الضرورى فى نفس المرسل إليهم ، فلما جاءهم الرسول بمعجزته انطلقوا إليه يؤمنون بالله رب العالمين .

وآية ذلك : أن أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ ، لما بعثه الله فى قومه ، ومن قبل أن تظهر عليه معجزة آمنت به زوجه أم المؤمنين خديجة[1] - رضى الله عنها - .

---

(١) هى خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولى ، وزوج الرسول الكريم ، وسيدة نساء العالمين ، كانت أول من آمن بسيدنا محمد ﷺ ، وصدق بدعوته ، ورعاه وشجعه على الاستمرار فى تحمل الأذى خلال أطوار الدعوة ، وكانت ذات قلب كبير ، وقد رزق الله الرسول منها بأبنائه وبناته جميعا عدا سيدنا إبراهيم فقد ولدته أم المؤمنين السيدة ماريا القبطية .

وقال الرسول ﷺ فيها « آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى حين كذبنى الناس ، وآزرتنى بمالها ، ورزقنى الله منها الولد » راجع مسلمات خالدات للأستاذة سنية القراعة ص٣٩/٥٨ .

كما آمن به الصديق أبو بكر ﷺ[1] ، وكذلك آمن ابن عمه على ابن أبى طالب[2] – كرم الله وجهه – فكان إيمان كل واحد منهم علامة على تصديق الجميع به ﷺ .

(١) هو عبدالله بن عثمان الملقب بأبي قحافة بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ويلتقى مع الرسول ﷺ فى " مرة بن كعب " ، وعرف فى الجاهلية باسم : عبد الكعبة ، فسماه الرسول ﷺ لما أسلم عبدالله ، وكنيته أبو بكر لأنه بكر فى باعتناق الإسلام .

ولد ﷺ فى الثانية أو الثالثة من عام الفيل ، فهو أصغر من الرسول ﷺ بنحو سنتين أو ثلاثة .

وأمه سلمى بنت صخر بنت عم أبي قحافة ، وتكنى بأم الخير ، وكان فى الجاهلية يشاغل تاجر ثياب ، وكان صاحب مال وفير ، وهو أول من أسلم من الرجال ، وخليفة رسول الله ﷺ ، وله مواقف كثيرة فى الإسلام ، وقال فيه رسول الله ﷺ « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح » ، وقال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . وإن صاحبكم خليل الله » – راجع تاريخ الرسل والملوك للعلامة الطبرى جـ٣ ص٢١٨ – طبعة دار المعارف ، وكذلك العقد الفريد لابن عبدربه جـ٢ ص٢٣٤ . وكذلك تاريخ الأمة العربية للدكتور / عبدالفتاح شحاته ص١١/١٧ .

(٢) هو على بن أبي طالب بن عبدالمطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الشجعان الأبطال ، وأول من أسلم بدعوته بعد خديجة ﷺ ، تولى الخلافة بعد مقتل سيدنا عثمان ﷺ ، ولد كرم الله وجهه سنة ٢٣ ق.هـ ، وتوفى سنة ٤٠هـ مقتولا ، وقتله عبدالرحمن بن ملجم ، وروى عن النبى ﷺ ٥٨٦ حديث – راجع تاريخ بغداد جـ١ ص١٣٣ ، وهدية العارفين جـ١ ص٦٦٧ ، ومعجم المؤلفين جـ٧ ص١١٢ .

إذ كان الصديق ﷺ رجلا كبيرا ، فكان إيمانه علامة على تصديق كل راجحى العقل . أصحاب المكانة من الرجال لسيدنا رسول الله ﷺ .

وكذلك كان إيمان السيدة الكريمة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها – بمثابة الإعلان عن إيمان كل النساء الكوامل من بنى جنسها فى رجاحة العقل . ورحابة الصدر . وسلامة التفكير .

فى نفس الوقت فقد كان إيمان الإمام على ﷺ ، وهو الحدث المقبل على سن الشباب وشرخه، علامة على تصديق الشباب جميعا – ذكورا ونساء – بنبوة سيدنا محمد ﷺ . فكأن الله تعالى خلق فى قلوب هؤلاء الثلاثة العلم الضرورى بتصديق سيدنا محمد ﷺ حتى يكونوا بمثابة الرموز التى يقتدى بها غيرهم ممن أسرعوا فى الدخول إلى الإسلام فيما بعد .

والملاحظ أننا بإيذاء رأيين . كلاهما يحاول ترجيح كفته . حتى يغلب الآخر . فتثبت به النبوة ، لكن يظهر لنا فريق ثالث يتبنى موقفا جديدا غير مألوف بالنسبة لمن سبق . فما هو ؟

الطريق الثالث : الدليل العقلى

يكرر العلماء مقولة الدليل العلقلى ، ويستخدمونه فى مواطن كثيرة سواء فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، أو فى إثبات نبوة الأنبياء ، أو فى تصورات تتعلق بالتأكيد على أى منهما .

وأصحاب هذا الاتجاه يؤكدون « أن المعجزة فيها قفز فوق عادات الناس ، وخرقا لكل إلف عايشوه ، ولكنها ليست أقوى من أدلة النظر العقلى الخالص التى تنتهى إلى الحكم الضرورى القاطع »[1] .

وربما دفعهم إلى ذلك أن المعجزة إن جاءت على الطريق العقلى باعتبار أن العقل هو الحاكم فما ذلك بغريب على الفكر الإسلامى . وقد شعر به شيوخ المذهب . وأكثروا من عرضه . أما لماذا ؟

فلأن المعجزة تأتى لا خرقا للعقل ، وإنما ليحكم عليها العقل بأنها خارق للعادة ، ولما كان ذلك دور العقل الذى يعجز عن القفز

---

(١) الشيخ نديم الجسر – قضية الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص١٨٠ ط٣ – المكتب الإسلامى – بيروت سنة ١٩٦٩م .

فوقها ، أو محاولة الإتيان بمثلها ، فلا شك أن العقل يكون هو المثبت للنبوة ، من ذلك الباب .

بمعنى أنه متى ادعى النبى النبوة ، فإن العقل الصادق يختبر مدعى النبوة ، فإذا كانت أحواله دالة عليه . فى أنه مرسل من قبل الله تعالى ، فإن العقل السليم يثبت للنبى النبوة ، وإن لم ترد معه معجزة ، على أساس أن المانعة العقلية غير قائمة ، ولا هى واردة .

غير أن الدراسة التى نحن بصددها تستطيع التأكيد على أن العقل لا يمكنه أن يكون حاكما على المعجزة ، ولا أن تثبت به المعجزة . وإنما الذى يمكن القول به أن دلائل النبوة مجتمعة ، أو منفردة . لا يستوعبها إلا العقل . لأن الله لم يكلف الأنبياء بالرسالة إلى البلهاء . أو ناقصى التمييز . وإنما كلفهم بها للعقلاء ، وأناط التكاليف الشرعية بالقادرين عليها .

فيقول الحبيب المصطفى ﷺ : « رفع القلم عن ثلاث : النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يفيق » .

بل أن القرآن الكريم رفع بعض التكاليف عن بعض أصحاب الأعذار ، ولم يلغها عنهم ، وإنما جعل لهم عنصر الموائمة بين إمكانياتهم ، والتكليف الشرعى نفسه فى حدود الاستطاعة .

ﷻ لقوله تعالى ﴿ " ليس على الأعمى حرج ولا على الأ عرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " ﴾[1] .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم " ﴾[2] .

---

(١) سورة النور الآية ٦١ .

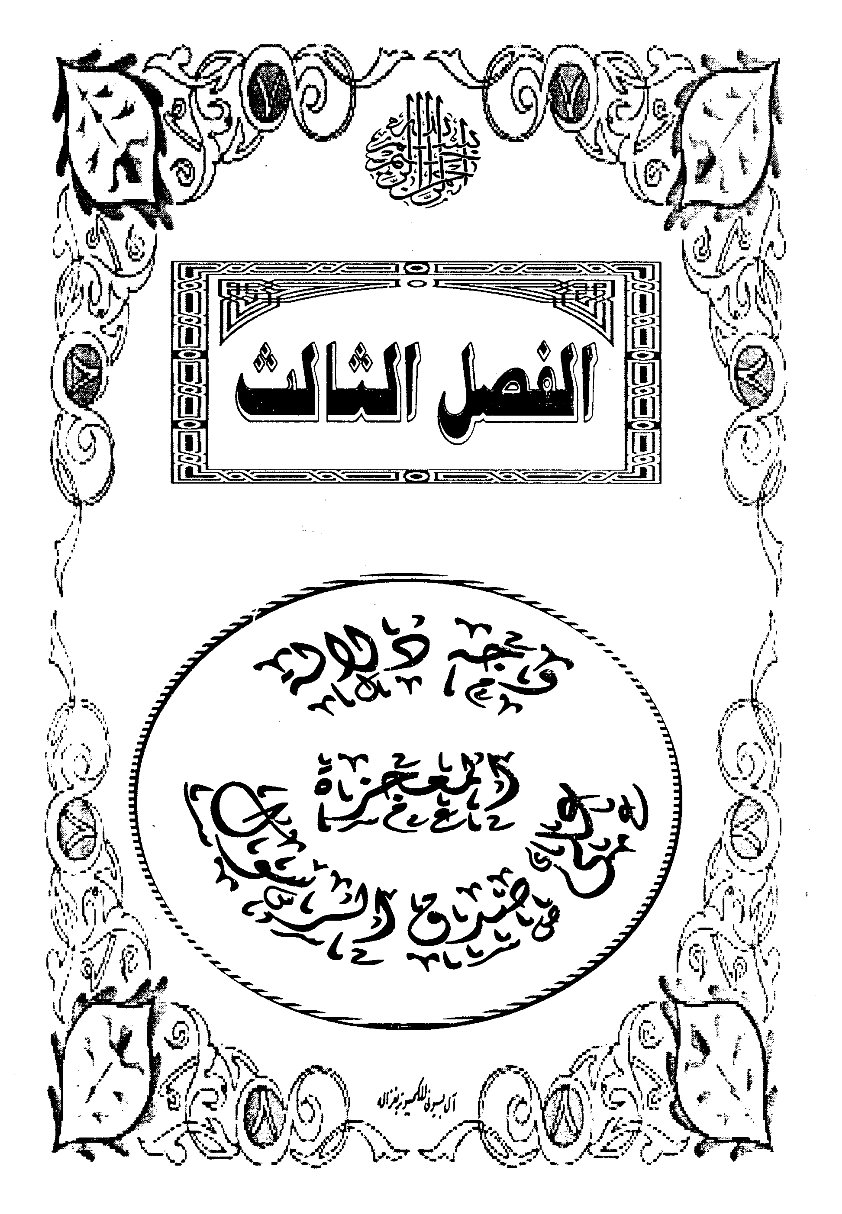
(٢) سورة التوبة الآية ٩١ .

ولعل العلامة البيهقى قد كشف النقاب عن تعدد دلائل النبـوة . كما تحدث عـن الأخبـار الناطقـة بظـهور المعجـزات . وانتـهى إلى أن « دلائل النبوة كثيرة ، والأخبار بظهور المعجزات ناطقة ، وإن كانت آحاد فى أعيانها غير متواترة فهى فى جنسها متواترة ، متظاهرة مـن طريق المعنى ، لأن كل شيء منها مشاكل لصاحبه فـى أنـه أمـر مزعـج للخواطر ، ناقض للعادات . وهذا أحد وجوه التواتر الـذى يثبـت بـها الحجة ، وينقطع بـها العذر »[1] .

والذى تطمئن إليه النفس : أن المعجـزة مـن مثبتـات النبـوة ، متـى تعددت الأدلة على تأكيد خبر النبوة ، أما إذا لم يوجـد إلا المعجـزة فإنها تكون الدليل الوحيد الذى تثبت بـه النبـوة متـى كـان التحـدى قائما بها ، أو هى مطلوبة له ، أو يتحقق تصديـق النبـى بـه . والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى - الاعتقاد على مذهـب السـلف أهـل السـنة والجماعـة ص١٤٥، ١٤٦ ط دار الكتـب العلميـة - بـيروت - ط أولى سـنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م .



الفصل الثالث
في وجه دلالة المعجزة
على صدق الرسل عليهم السلام

تمهيد

ما من شك فى أن الحديث عن المعجزة أمر غاية الأهمية للمفكر المسلم ، باعتبار أن البراهين والدلائل التى تثبت النبوة قد عنى بها كل مفكر مسلم ، ومن كان ذلك شأنه فلابد أنه متواصل مع ما قيد نفسه عليه ، وهو خدمة الدين ، على كل ناحية يمكنه القيام بها .

غير أن القوم من الأشاعرة والماتريدية ، بجانب المعتزلة ، ومن ينتسبون للسلفية قد أسهم كل منهم بالحديث عن المعجزة ، متخذا جانبا من جوانبها ، وربما شغل نفسه بكل الجوانب على سبيل الإبداع والإتقان ، كما فعل جمهور أهل السنة والجماعة .

وفى هذه الدراسة سأحاول - قدر إمكانى - الخوض فى الناحية التى تدل منها المعجزة على دعوى النبوة ، وتصديقها ، باعتبار أن تلك مسألة مهمة ، ولما هو معلوم من أن النبوات من الجائزات . وأن المعجزات من الممكنات ، بدليل إتيان المعجزات مصاحبة فى الأغلب الأعم للنبوات .

◈ ولما كان كل منهما – النبوات والمعجزات – من الممكنات بالنسبة لقدرة الله تعالى ، فإن إتيان أى منهما يكون متعلقا بذات القدرة الإلهية ، التى لا يستحيل عليها شيء أبدا ، لكن ما هو الوجه[1] ، الذى تدل منه المعجزة على صدق الرسول ؟

ذلك ما نجد الآراء حوله فيما يلى :-

الرأى الأول

الذين يذهبون إلى أن وجه الدلالة[2] هو العقل

هذا الفريق يذهب إلى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول فى دعواه ، إنما هى دلالة عقلية ، بمعنى أن العقل هو الذى يقوم عليها . وأن الله خلق الأمر الخارق للعادة مقارنا لدعوى الرسالة ، ويستحيل

(١) الوجه هو :وجه الشيء جانبه ، وهو ما يقابل غيره ، منه قولهم : (الوجه ما يواجهك من الرأس ، وفيه العينان والفم والأنف) ، ومن الثوب ما ظهر لك منه ، ومن البيت الجانب الذى يكون فيه بابه ، وصحة الحكم ، ومن الكلام ما تقصده به ، وجمعه أوجه ووجوه – المعجم الوجيز باب الواو ص٦٦١ .

(٢) الدلالة هى : كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثانى هو المدلول – راجع التعريفات للجرجانى ص٩٣ .

عقلا صدور المعجزة على يد الكاذب ، كما يستحيل عقلا تصديق الله للكاذب .

ويصور أحد العلماء ذلك قائلا : « أما كونها عقلية فوجهه أن خلق الله تعالى للأمر الخارق للعادة مقارنا لدعوى الرسالة ، وتحدى الرسول لقومه ، بذلك الأمر مع العجز عن معارضته ، وتخصيصه بذلك ، يدل عقلا على أن الله تعالى أراد تصديقه ،

كما يدل اختصاص الفعل بالوقت المعين ، والمكان المعين على إرادة الله تعالى ، لذلك التخصيص بالضرورة ، وعلى هذا يستحيل عقلا يستحيل عقلى صدور المعجزة على يد الكاذب »[1] .

وهذا الرأى ربما تبناه كثيرين باعتبار أن دلالة المعجزة على صدق الرسول لا بد أن تكون عقلية ، حتى يمكن التأكيد عليها . ويقول « أن دلالة المعجزة على صدق الرسول لابد وأن تكون دلالة عقلية يقينية ،

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة – مذكرات التوحيد ص١٢ – طبعة ١٩٣٣ .

لأن المعجزة هى الدليل الوحيد على صدق الرسول ، فيستحيل عقلا أن يظهرها الله تعالى على يد الكاذب ، لأنه يختلط بالصادق . وهذا إضلال لا هداية »[1] .

وما دام ظهور الخارق على يد الكاذب أمر مستحيل عقلا فإن دلالة المعجزة على صدق الرسول أمر قائم عقلا . ولا منازعة فى الدلالة ، من حيث أنها تدل على صدق النبى . أما المنازعة فقائمة على كون الدلالة آتية من ناحية العقل .

ويذهب كثيرون من الدارسين إلى أن أصحاب القول بالدلالة العقلية هم جمهور المعتزلة ، يقول أحد الدارسين : « والظاهر أن الذى ذهب إلى القول بأن وجه الدلالة هو العقل هم جمهور المعتزلة ، لأن القول بالدلالة العقلية هو الموافق لروح مذهبهم »[2] .

---

(١) الدكتور / محى الدين أحمد الصافى - محاضرات فى السمعيات ص٣١ ط١ سنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٢) الشيخ عبدالشكور بن حاج حسين سعيد - النبوة بين المتكلمين والفلاسفة ص٣٠٩ - دكتوراة بكلية أصول الدين القاهرة ١٩٨٣م .

وربما استند إلى ما ذكره القاضى عبدالجبار[1] من قوله « إن دلالة المعجزة على ما يدل عليه بطريقة التصديق ألا ترى أن من ادعى بحضرة ملك أنه رسول إلى الرعية وجعل الدلالة على صدقه ، أنه متى أراد وضع التاج على رأسه ، فعل فإنه متى فعل ذلك كان بمنزلة أن يقول له صدقت فى دعواك »[2] .

ويقول أحد الباحثين أيضا : « وهذا رأى المعتزلة ، ومن تبعهم ، وكلامهم قائم على أساس أن علاقة السبب بالمسبب ضرورية لا تتخلف »[3] .

بل تبنى ذلك الرأى جمع من المحدثين والمعاصرين بناء على أن العقل هو القاعدة التى ينطلق منها التفكير ، وأنه حجة الله على عباده ، وأن قواعده قائمة لا تنفصل ، وبالتالى فإن أحكامه لا تنقضى .

---

(١) قاضى القضاه أبو الحسن بن أحمد بن الخليل الهمزانى ، ولد ما بين ٣٢٠/٣٢٥هـ ، وكان واسع الأفق ، أشتهر بأنه شيخ المعتزلة ، ومن مؤلفاته : « شرح الأصول الخمسة ، المغنى » - راجع الأعلام جـ٤ ص٤٧ .

(٢) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى - شرح الأصول الخمسة ص٥٧١ .

(٣) الدكتور / سعيد الدين السيد صالح - المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم ص٥٤ - ط الأولى سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

أضف إلى ما سبق أنه متى ادعى مدعى للنبوة ، ثم ظهرت عليه المعجزة ، فإن العقل يحكم أنها تدل على صدق صاحبها بأنه رسول ، لأن الله لا يظهرها إلا على أيدى أنبيائه فقط »[1].

فمتى ظهرت على يد غير النبى فإنها لا تكون معجزة ، وانما تكون من قبيل الاستدراجات والاهانات ، ولا تدخل فى المعجزات ، حتى لم تدل على الصدق .

غير أن هذا الرأى قد لا يسلم أمام آخرين ، وذلك للاعتبارات منها :

- **الاعتبار الأول** : أن خوارق العادات قد تأتى من غير أن تكون هناك معجزة ، كالحال فى الكرامة والفراسة والمغوثة ، بجانب المعونة[2] .
- **الاعتبار الثانى** : أن القول وصول العلم اليقينى عن طريق الدلالة العقلية فذلك أمر محل خلاف ، إذ لم يثبت أن العقل وحده هو الذى يقدم الأدلة اليقينية ، وإنما العقل يقدم أدلة متى صحت نجد

(١) الشيخ عبدالشكور بن الحاج – النبوة بين المتكلمين والفلاسفة ص٣٠٩ .
(٢) راجع فى هذا الشأن حاشية العلامة الأمير عند حديثه عن خوارق العادات .

فيها بعض اليقين ، وليس كل اليقين ، والفرق بين اليقين المطلق الذى تنبنى عليه النبوة والمعجزة ، وبين اليقين النسبى كبير جدا .

الاعتبار الثالث : أن القاضى عبدالجبار – وهو من أكابر شيوخ المعتزلة –ذهب إلى أن وجه الدلالة هو العادة على ما ذهب إليه الأشاعرة ، بل أنه ربما استخدم نفس المثال الذى ذكره شيوخ مذهب الأشاعرة ، وإن كان هناك تعديل فى بعض الألفاظ . إلا أن المعنى واحد .

يقول القاضى عبدالجبار : « إن دلالة المعجزة على ما يدل عليه بطريقة التصديق ألا ترى أن من ادعى بحضرة ملك أنه رسوله إلى الرعية وجعل الدلالة على صدقه ، أنه متى أراد وضع التاج على رأسه ، فعل فإنه متى فعل ذلك كان بمنزلة أن يقول له صدقت فى دعواك »[1] ، فلو كان القول بوجه الدلالة العقلية فى إثبات النبوة بالمعجزة هو الغالب عند المعتزلة ، ما نقضه قول القاضى عبدالجبار . فبان أن القول به ضعيف ، حتى عند المعتزلة أنفسهم .

(١) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٧١ – تحقيق الدكتور / عبدالكريم عثمان – مكتبة وهبه ط٢ .

الاعتبار الرابع : أن العلاقة بين السبب والمسبب علاقة عادية ، ولا يمكن القول بأنها علاقة ضرورية عقلية . بدليل أننا نجد خوارق يعتبرها العلم التجريبى علمية ، ولا توجد علاقة بين السبب والمسبب واضحة . بحيث يمكن القول بأن النتيجة قائمة على المقدمات على سبيل الحتم والجزم .

وذلك مثل الأمراض التى تنشأ ، ولا يعرف لها سبب ظاهر ، أو خفى ، وإنما كل ما يمكن للعقل أن يقول به هو مجرد وضع العديد من الاحتمالات ، التى لا يرجح واحد منها على غيره .

وذلك كله كأمراض السرطان مثلا ، والعظام الزجاجية[1] ، بل وأمراض الزهايمير[2] . والفلشيولا . والأبيولا . وغيرها من الأمراض

(١) وهو غير هشاشة العظام ، لأن هشاشة العظام معناها : ضعف طرأ على الخلية العظمية . فإذا سقط صاحبها على الأرض كانت إصابته قليلة ، بالنسبة لغيره ، أما صاحب العظام الزجاجية فإنه إذا سقط على الأرض بعنف أو اصطدم به جسم صلب بعنف فإن عظامه تتحطم كما تتحطم خلايا الزجاج ، ولذا يعرف باسم العظام الزجاجية – راجع حديث فى الطب للدكتور مصطفى الديوانى ص١٠٧ – طبعة دار المعارف ١٩٦١م .

(٢) هو مرض يصيب بعض متقدمى السن ، فيجعل صاحبه يفقد قدراته العقلية شيئا فشيئا . حتى يصبح كالبلهاء ، لا يدرى عن أمر نفسه شيئا – راجع موسوعة العلوم الطبية ص١٣٥ – ط تونس ١٩٨٣م – ترجمة الدكتورة / وفاء بنت محمد المقدوح .

التى لا توجد لها علاقة قائمة بين السبب والمسبب ، بحيث يمكن القول بأن هناك علاقة ضرورية حتمية عقلية بين السبب والمسبب .

الاعتبار الخامس : أن نظام الكون الثابت الآن سوف تتساقط فى المستقبل ، عندما يريد الله تعالى إنهاء هذا العالم ، ولا يوجد سبب عقلى لهذا ، كل فى الأمر أن قضاء الله سوف ينفذ ، وأن قدره تعالى سوف يقع .

ﷻ قال تعالى ﴿ " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون " ﴾[1] .

ﷻ وقوله تعالى ﴿ " وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير " ﴾[2] .

إلى غير ذلك من النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية التى تناولت ذلك الجانب .

والذى أميل إليه : أن القول باعتبار وجه الدلالة فى المعجزة على النبوة هو العقل إنما يستقيم متى قصد به أن العقل كمدرك ، هو

(١) سورة النحل الآية ٤٠ .

(٢) سورة النحل الآية ٧٧ .

الذى يتصور ذلك ، ويتعقله ، لأن العقل هو حجة الله على عباده ، والقاعدة التى ينطلق منها المكلفون ، وذلك مما لا تنكره الدراسات العلمية والدينية المعتمدة على النصوص الشرعية .

أما أن يقال أن العلاقة بين السبب والمسبب ضرورية على جهة العقل ، وكذلك العلاقة بين المعجزة والنبوة ضرورة قائمة على العقل ، فذلك مما لا نوافق أصحاب القول عليه . بل ونذهب إلى أن ذلك ربما أغلق الباب كلية على خوارق العادات ، ومن الفراسة والكرامة والمعونة التى تأتى جميعها من الله تأييدا لمن أراده الله على النحو الذى أراده الله ، وقد أفاض فى بيان ذلك العلماء والمحققون من أهل السنة والجماعة .

الرأى الثانى
الذين يذهبون إلى أن وجه الدلالة هو العادة

يذهب أصحاب هذا القول إلى أن الله قد أجرى العادة بأنه متى جاءت المعجزة على يد من ادعى أنه رسول الله مؤيد من قبل الله تعالى ، تأكد للقوم صدقه فى دعواه . بناء على ظهور الخارق على يديه ، وتلك عادة .

بمعنى أنه متى ظهرت ، فإن العادة تحكم بتصديق الناس له ، بمجرد ظهورها على يديه ، يقول العلامة الباقلانى : « أن صدق مدعى النبوة لم يثبت بمجرد دعواه ، وإنما يثبت بالمعجزات ، التى وهى أفعال الله الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك »[1] .

ومعنى ذلك : أنه متى ظهرت المعجزة على يد من ادعى أنه نبى ، فإن العادة قاضية بتصديق القوم له بمجرد ظهور المعجزة على يديه .

ولعل إمام الحرمين هو الأخر قد تمسك بأن وجه الدلالة فى المعجزة هو العادة ، وليس العقل ، فيقول :

« اعلموا أرشدكم الله تعالى أن المعجزة لا تدل على صدق النبى . حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها ، فإن الدليل العقلى يتعلق

(١) العلامة القاضى الباقلانى – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ص٦١ – تحقيق الشيخ الكوثرى ط الثانية الخانجى ١٩٢٣ .

بمدلوله بعينه ، ولا يقدر فى العقل وقوعه غير دال عليه ، وليس كذلك سبيل المعجزات »[1] .

بل ويؤكد فى كتاب أخر « أن وجه دلالة المعجزة يقرب من أشعار قرائن الأحوال بالعلوم البديهية »[2] .

باعتبار ان العلوم البديهية لا منازعة فيها ، لأن من ينازع فى البديهيات لا يلتفت إلى قوله ، وكذلك إثبات المعجزة للنبوة ، فإنها بمثابة ذلك البرهان ، فيما جاءت إليه .

وفى كتاب ثالث يؤكد إمام الحرمين على أن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول « أنها تنزل منزلة التصديق بالقول ، ونظيرها فى الشاهد ، أن يتصدى ملك الناس ويأذن لهم بالدخول عليه ، فلما احتفوا به وأخذ كل مجلسه قام لأهل الجمع قائم ، وقال :

(١) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٢٢٤ – تحقيق الدكتور / محمد يوسف موسى .

(٢) أمام الحرمين الجوينى – البرهان فى أصول الفقه – لوحة ٢٣ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧١٤ .

يا أيها الملأ أنى رسول الملك إليكم ، وقد ادعيت الرسالة بمرأى منه ومسمع ، وآية الرسالة : أن الملك يخالف عادته ، ويقوم ويقعد ، إذا استدعيته ، ثم يقول أيها الملك : صدقني وقم وأقعد ، فإذا فعل الملك ما استدعاه منه ، كان ذلك تصديقا له نازلا منزلة قوله صدقت »[1] .

بل أن إمام الحرمين يسرف في التأكيد على أن المعجزة تدل على النبوة من باب العادة ، وليس من باب العقل ، حتى لا ينتهى إلى إبطال الآراء المخالفة ، قائلا : « والمرضى عندنا أن المعجزات تدل على الصدق . حيث تنزل منزلة التصديق بالقول »[2] .

من ثم فإن جمهور الأشاعرة من المتقدمين يؤكدون على أن الأمر المهم عندهم هو التأكيد على أن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإثبات النبوة ، إنما هو من الأمور التى جرت بها العادة ، وليس هناك شيء أخر .

---

(١) إمام الحرمين – لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ص١١٠ – تحقيق الدكتورة فوقية حسن محمود – ط الأولى سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(٢) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٣٢٥ .

وفى تقديرى : أن حجة الإسلام الإمام الغزالى هو الآخر قد أكد على أن وجه دلالة النبوة على ثبوت المعجزة ، أو ثبوت النبوة بالمعجزة هو العادة ، حيث يقول : « وجه المعجزة على صدق الرسول أن كل ما عجز عنه البشر ، ليس إلا فعلا لله تعالى ، ومهما كان مقرونا بتحدى النبى ﷺ فإنه ينزل منزلة قوله صدقت »[1] .

ثم ساق الإمام الغزالى[2] نفس المثال الذى ساقه العلامة الجوينى ، بل وكذلك نقل ذات المثال عن « الإمام العضد الايجى ، والعلامة السعد التفتازانى » ، وذلك دليل على أن المتأخرين - العضد والسعد - قد ارتضيا ذلك الرأى ، والتزما نفس المثال ، من غير اعتماد على شيء آخر .

فإذا قلبنا المذهب الأشعرى ، وحاولنا معرفة رأى العلامة الشهرستانى ، فإنا نراه يؤكد على أن :

(١) الإمام الغزالى - إحياء علوم الدين جـ١ ص١١٣ - تحقيق الدكتور / بدوى طبانه جـ١

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى أبو حامد حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف . له نحو مائتى مصنف ، ولد رحمه الله سنة ٤٥٠هـ ، وتوفى ٥٠٥هـ فى الطبران . من آثاره « تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد فى الاعتقاد ، إحياء علوم الدين » راجع شذرات جـ٢ ص١٠ ، وطبقات الشافعين جـ٤ ص١٠١ .

« الآية الخارقة للعادة ، كما دلت بوقوعها على قدرة الفاعل ، وهو الله تعالى ، ودلت باختصاصها على إرادته وبأحكامها على علمه كذلك دلت بوقوعها مستجابة لدعاء الداعى ، لا لدعوى المدعى ، على أن له عند الله حالة صدق ، ومقالة حق ، ومن كانت دعوته مستجابة عند الله تعالى يستحيل أن يكون فى دعواه كاذبا على الله تعالى ، وهذا هو حقيقة النبوة »[1] .

وفى تقديرى : أن العلامة الآمدى كان أكثر وضوحا من غيره ، وإن كان قد أقام فكرته على السلب لا على الإيجاب ، حيث يذهب إلى أن الدلالة العادية بالنسبة للكاذب فى دعواه النبوة أن يكذبه الله تعالى ، ولا يظهر على يديه شيء من المعجزات على سبيل العادة ، وتكذيبه عن طريق العادة التى تحكم بأن من يدعى ما يخالفها من غير دليل ، يكون كاذبا فى العادة .

وما دام كاذبا فى دعواه ، ولم يصدقه الله ، فإن العادة ذاتها تحكم بأن من يدعى النبوة ويصدقه الله بالمعجزات على سبيل التأييد

(١) العلامة الشهرستانى – نهاية الأقدام فى علم الكلام ص٤٢٠ .

له ، يكون نبيا حقا ، ورسولا صدقا ، ولا يمكن للعادة أن تحكم بغير ذلك أبدا .

يقول العلامة الآمدى – رحمه الله – : « المتحدى بالرسالة إذا لم تظهر على المعجزة الدالة على صدقه ، إنما قطعنا بكذبه ، بالنظر إلى العادة لا بالنظر إلى العقل ، وذلك لأن الرسالة عن الله تعالى على خلاف العادة . والعادة تقضى بتكذيب من يدعى من يخالف العادة من غير دليل ، ولا كذلك الصدق فى الأخبار عن الأمور المحسوسة ، لأنه غير مخالف للعادة »[1] .

وعلى ذلك النمط صار رأى العلامة الآمدى . وكذلك إمام الحرمين والباقلانى ، على ما مر ذكره ، وكذلك ذهب من تبعهم من شيوخ المذهب الذين أقاموا رأيهم على حكم العادة فى إثبات النبوة بالمعجزة .

بل أن الإمام الايجى – رحمه الله – يؤكد على أن « إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه . فإن إظهار المعجزة على يد الكاذب ، وإن كان ممكنا عقلا ، فمعلوم انتفاؤه عادة ، كسائر

(١) العلامة الآمدى – الأحكام فى أصول الأحكام جـ١ ص٢١٨ – طبعة صبيح ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .

العاديات ، لأن من قال أنا نبى ، ثم نتق الجبل وأوقفه على رؤوسهم ، وقال أن كذبتمونى وقع عليكم ، وإن صدقتمونى انصرف عنكم ، فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم ، وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم ، علم بالضرورة أنه صادق فى دعواه ، والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب »[1] .

ولا شك أن الإمام العضد كان مسايرا لمن سبقه من جمهور الأشاعرة ، ولم يشذ عنهم ، بل انه استخدم حكم العادة بمفهوم شرعى ، حين أكد أن العادة قاضية[2] ، وأنها تحكم حكما مؤكدا بأن من ظهرت على يديه المعجزات مؤيدة له فى دعواه النبوة ، لا يكون إلا نبيا صادقا .

وفى نفس الاتجاه رأينا العلامة السعد التفتازانى - رحمه الله - يؤكد ما ذهب إليه الشيوخ ، حتى أنه ليعتبر بحق آخر المحققين فى مذهب الأشاعرة ، حيث يقول « وأما وجه دلالة المعجزة على صدق

(١) العلامة عضد الدين الايجى - المواقف ص٣٤١ .

(٢) يذهب علماء الأصول إلى أن العادة محكمة ، وأن قضائها قائم - راجع أصول التشريع الإسلامى للدكتور / على حسب الله ص٢٦١ ط دار المعارف بمصر - ط الثانية .

الرسالة فإنها عند التحقيق بمنزلة صريح التصديق لما جرت به العـادة من أن الله يخلق عقيبها العلم الضرورى بصدقه »[1] .

◈ **وربما تسأل** : لماذا يعقبها العلم الضـرورى بصـدق مـن جـرت علـى يديه بحكم العادة لا بحكم العقل ؟

والجواب : أن العـادة الصادقـة استقرت بـين النـاس علـى وجـه الثبات ، فمثلا : عادة طلوع الشـمس مـن مشـرقها ، وغروبـها فـى مغربها .

وكذلك دوران الشهور ، وتعاقب الفصول ، فكل ذلك من العادات الثابتة ، إذ تعود الناس أن يعرفوا مطلع اليوم بظهور بوادر الشمس ، ويعرفوا كذلك دخول الليل بحلول الظلام ، وصار ذلك عادة لا تختلـف إلا إذا أرادها الله تعالى .

ولذا نرى العلامة السعد – رحمه الله – يذكر المثال التالى « إذا قام رجل فى مجلس ملك بحضور جماعة ، وادعى أنه رسول هذا الملـك إليهم ، فطالبوه بالحجة ، فقال أن يخلف هذا الملك عادته ، ويقوم عن

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

سريره ، ويقعد ثلاث مرات ، ففعل فإنه يكون تصديقا له ، ومفيدا للعلم الضرورى بصدقه من غير ارتياب »[1] .

وفى تقديرى : أن ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة ، ومن معهم فى أن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول هو العادة جديرا بالاحترام ، بجانب القبول ، وذلك لما يلى :-

(١) **استقر فى الأفهام ، وثبت فى الوجدانات أن الفاعل لكل شيء هو الله جل علاه** ، القائل فى القرآن الكريم ﴿ "والله خلقكم وما تعملون " ﴾[2] ، وكذلك قوله تعالى ﴿ "ويخلق ما لا تعلمون " ﴾[3] .

فدل الأمر على أن الخلق فى الماضى ، والخلق فى الحاضر ، والمستقبل ، إنما هو راجع إلى الله سبحانه وتعالى ، ولا يوجد ما يمكن تسميته ، ربطا حتميا يبين السبب والمسبب ، فى قدرة الله تعالى ، وإلا كان معناه الجبر ، وذلك محال على الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص١٣٠ .

(٢) سورة الصافات الآية ٩٦ .

(٣) سورة النحل الآية ٨ .

(٢) أن القول بوجه الدلالة العادة قائم على أن ربط السبب بالمسبب فى مقدورات الله بالنسبة لنا هو العادة التى يمكن أن تتخلف لقوله تعالى ﴿ "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " ﴾[١] . فالثوابت التى فى حسابنا . إنما هى بالمفهوم الذى نعقله . أما ما يتعلق بذات الله تعالى ، فالأمر مردود إليه جل علاه .

(٣) أن اعتبار الدلالة العادية أقوى فى القبول من غيره . وبخاصة أنه قد جرت عادة الله تعالى بخلق العلم فى نفوس المرسل إليهم النبى ، حتى يعلنوا صدق النبى عقيب ظهور المعجزة . قال تعالى ﴿ " فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون " ﴾[٢] .

(٤) أن الله تعالي لم يجر عادته بتصديق الكاذب ، بل أجراها بتكذيبه ، فكان ذلك من الفضائح التى وقعوا فيها ، كما حدث لمسيلمة الكذاب ، الذى تفل فى عين الأعور لتبرأ فضاعت السليمة . وتفل فى بئر ليفيض ماؤه ، فإذا به يغيض[٣] .

(١) سورة يس الآية ٨٢ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٥ .

(٣) راجع رسالتنا فى الدكتوراة

يقول أحد الباحثين : « أن الله أجرى عادتــه بافتضـاح أمـر الكذابين المدعين للنبوة ، لا تصديقا لهم ، وإنمـا تكذيبـا ، ولهـذا صح القول بأن العادة التـى لم تتخلـف مـن مبـدأ الإرسـال الإلهـى لرسـله مـن أوائلـهم إلى منتـهاه ببعثـة الحبيـب المصطفى سـيدنا محمد ﷺ هــى التـى تصبـح دالـة علـى صدق الرسـول ، ولا عبرة بغيرها من الأقوال »[1] .

(٥) لما كانت المعجزات تأتى من باب الخوارق العادية ، فقد صارت عـادة الناس أن ينتظروا ممن يدعى النبوة إليهم ، جريـان المعجـزة علـى يديه ، حتـى أن خـوارق العـادات مـن كـثرة مجيئـها علـى أيـدى الأنبياء والمرسلين فى الماضى ، فقد صار الناسي يترقبونـها كعـادة ويتوقعونها مع النبى ، الذى يأتيهم ، ولذا كانوا يطالبونه بـإبراز معجزته ، متى ادعى بينهم أنه نبى .

(٦) أن « اقتران ظهور المعجزة بالصدق إحدى العاديات ، فإذا جوزنـا انحرافها عن مجراها ، جاز إخلاء المعجـزة عـن اعتقـاد الصـدق ،

(١) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – عبدالكـــريم الخطيـــب وآراؤه الكلاميـــة ص٣٠٠ .

وحينئذ يجوز إظهارها علـى يـد كـاذب »[1] ، وتصديـق الكـاذب على الله محال ، وتصديق الصادق من منح الله تعالى .

وفي تقديري : أن الأخذ بالدلالة العادية ، إنما هـو أقـوى الوجـوه وأولاها بالاحترام ، بجـانب أنـه يفتـح البـاب لظـهور خـوارق العادات ، سواء منها المعجزة التي تجرى على يد نبى من أنبياء الله تصديقا له في دعواه أنه مبلـغ عـن الله أو الكرامـة والفراسـة . مما يجرى على أيدى بعض الصالحين ، تفضـلا مـن الله تعـالى ونعمـة ، وهو الأمر الذى يبقى عندنا ونراه أقوى من غيره .

الرأى الثالث
الذين يذهبون إلى أن وجه الدلالة هو الوضع

وهؤلاء يركزون على أن دلالـة المعجـزة علـى صـدق الرسـول فـى دعواه النبوة تشبه تماما دلالة الألفاظ على المعانى التـى وضعـت لهـا . فكمـا أن الألفـاظ اللغويـة دالـة علـى المعـانى بطريقـة اللغـة . فكذلـك المعجزة دالة على إثبات النبوة بطريق المعنى والقاسم المشترك بينـهما

(١) راجع : العلامة السعد التفتازاني – شرح المقاصد – جـ٢ ص١٨٨ . وكذلك العلامـة الأيجى – المواقف ص٣٤٢ . باعتبار أن العلم بصدق الكاذب محال على الله تعالى .

هو الوضع باعتبار أن دلالة المعجزة على صدق الرسول بمنزلة القول ، فإظهار المعجزة منه عز وجل على وفق دعوى الرسول منزلة قوله صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى »[1] .

وربما نقل مثل ذلك الرأى عن كل من الإمامين - محمد عبده . ورشيد رضا - حيث يذهب الإمام محمد عبده إلى أنه :

« من المحال على الله تعالى أنه يؤيد الكاذب ، فإن تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب ، وهو محال على الله تعالى ، فمتى ظهرت المعجزة ، وهى مما لا يقدر عليه البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت على يديه ، وأن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة »[2] .

والإمام محمد عبده لم يؤكد على أن دلالة المعجزة هو الوضع بمعنى أنه كما وضعت الألفاظ فى اللغة دالة على المعانى . وضعت

(١) الدكتور / سليمان سليمان خميس - محاضرات فى العقيدة ص١٠٩ - ط أولى - سنة ١٣٨٢هـ - مطبعة عطايا .

(٢) الإمام / محمد عبده - رسالة التوحيد ص٨٦ - طبعة المنار - الطبعة السابعة عشر ١٣٨٦هـ .

المعجزة دالة على النبوة ، وإنما معناه أن وضع المعجزة من حيث هي خارق للعادة ، موضوع لها ، متى جرت على يد مدعى النبوة ، فقد تم التصديق به ، وإثبات نبوته ، من غير اعتبار لشيء أخر .

أما الشيخ رشيد رضا : فإنه يقرر الآراء في وجه الدلالة ، ثم ينتهي إلى ترجيح ما اعتبره مشهورا منها ، وهو « أن دلالة المعجزة على صدق الرسول وضعية . لأنها بمعنى التصديق بالقول »[1] .

بل أن الإمام " رشيد رضا " ذكر أن القول بالوضع هو المشهور ، ثم ركز الأوجه الأخرى على طريق الحكاية « فقيل عقلية . وقيل عادية ، ثم ينتهي إلى القول بأن هذه المباحث ، منها ما قرره المتكلمون بأدلتهم النظرية ، ولم يرد في النصوص السمعية »[2] .

ولا شك أن هذا الوجه عند أصحابه قد وضع بحسب وضع الواضع للغة على سبيل المقايسة ، كأنه يريد أن يقول : أن إتيان المعجزة على يد الرسول يتساوى تماما مع القول أن رسولى إليكم صادق .

(١) رسالة التوحيد – هامش ص٨٥ .

(٢) رسالة التوحيد – هامش ص٨٥ – طبعة المنار .

غير ان هذا القول ربما لم يسلم لأصحابه لاعتبارات كثيرة منها :-

(١) أن دلالة الألفاظ على معانيها ليست قائمة بذاتها . وإنما هى قائمة على قصودات وإرادات تجرى من المتكلم مجرى التفكير العقلى ، وذلك مثل ألفاظ الوضع التى هى قائمة على استخدام اللفظ ذاته فى معنى معين . لا يمكن حمله إلى معنى أخر . أما المعجزة فليست كذلك ، ولا تأتى من ذلك الباب أبدا[1] .

(٢) أن الألفاظ الموضوعة بإيذاء المعانى الدالة عليها فى لغة ما تختلف عن ذات الألفاظ فى لغة أخرى . بل أن أصحاب الاصطلاحات الخاصة ، ربما استعملوا لفظا واحدا على العديد من المعانى الاصطلاحية ، التى تناسب بعض القوم ، بينما تخالف آخرين .

وذلك مثل لفظ الفاعل ، فإنه يعرف عند النحاة بأنه من فعل الفعل ، أو قام بالفعل ، أو اتصف به .

بينما يعرف عند المتكلمين بأنه الخالق العظيم -جل علاه - الفاعل لكل شيء على سبيل الوجود أو العدم .

(١) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص٢٧٢ – رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة ١٩٩٥م .

وفى نفس الوقت فإنه يعرف عند علماء القانون بأنه من يفعل الشيء بحرية تامة وإرادة مع الاختيار ، وبالتالى فاعتبار وجه الدلالة فى المعجزة هو الوضع ، قياسا عليه فى اللغة . فيه خطأ واضح ، ومقايسة غير مقبولة .

(٣) أن للعقل دورا هاما فى كثير من المسائل التى يتعرض لها عن طريق دلالة الوضع باعتبار أن العقل يجد الموضوع والمحمول . ثم يربط بينهما وقياسا عليه ، فهو الذى يدرك المعجزة ، ويدرك كذلك النبوة ، ثم يربط بين المعجزة والنبوة . فتصير الدلالة عقلية ، وليست وضعية ، مع أن الدعوى قائمة على أن الدلالة وضعية ، وليست عقلية .

(٤) أن اعتبار وجه الدلالة هو الوضع ينتهى إلى القول باعتبار أن اللفظ الدال على المعجزة متى وجد ظن المستمع له وجود النبوة ، وذلك عن طريق العقل لا عن طريق الوضع ، فالعقل هو الذى يستوعب تلك الأجزاء ، وهو الذى يربط أو يحلل بينها ، وهو الذى يلاحظ كذلك العلاقة القائمة بين كل من الموضوع والمحمول .

فينتهى الأمر إلى القول بأن وجه الدلالة هو العقل ، وليس الوضع ، وقد بان فساد الأول ، فصحبه فساد الثانى :-

الرأى الرابع
أصحاب القول بان وجه الدلالة هو الفعل

أصحاب هذا القول ربما ليس لهم وجود ظاهر على الساحة الفكرية ، لكن آثارهم واضحة ، نقلها كثيرون من مفكرى المسلمين ، وظاهرتهم بعض النصوص الدينية ، ويذهب أصحاب ذلك القول إلى أن دلالة المعجزة الفعلية على صدق الرسول فى دعواه قائم فى أنها :

« تدل فعلا على صدق من ادعى الرسالة ، لأن خلق الله لها على وفق دعواه ، وتحديه بذلك ، مع العجز عن معارضته وتخصيصه بذلك الفعل ، فإنما يدل على أن الله تعالى أراد تصديقه فى دعواه »[1] .

وهذا القول له كثير من الأنصار المحدثين ، لكن عليه نقودات كثيرة من أبرزها ما يلى :-

(١) **أنه يقصر المعجزة على الفعل فقط** ، بينما هى تشمل الفعل والترك ، فمن الأفعال مثل :

---

(١) الدكتور / سليمان سليمان خميس – محاضرات فى العقيدة ص١٠٩ – ط أولى ١٩٦٣م .

۞ **انفلاق البحر لموسى** عليه السلام . قال تعالى ﴿ "فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم" ﴾[1] .

۞ **إحياء الموتى مع سيدنا ابراهيم** عليه السلام في قوله تعالى ﴿ "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم" ﴾[2] ،

۞ **وكذلك مع موسى** عليه السلام في قوله تعالى ﴿ "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " ﴾[3] .

۞ **وكذلك مع نبى الله عيسى ابن مريم** عليه السلام في قوله تعالى ﴿ "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير

(١) سورة الشعراء الآية ٦٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠

(٣) سورة البقرة الآية ٧٣ .

بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين" ﴾[1] .

أما سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، فحديث الشاة المسمومة له ﷺ من المعجزات الفعلية [2] .

وقد تأتي تركا كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، قال تعالى ﴿ "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " ﴾[3] .

وكذلك عدم إغراق الماء لسيدنا نوح عليه السلام . قال تعالى ﴿ "فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين " ﴾[4] .

---

(١) سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٢) دكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي – حصاد الاقتصاد في الاعتقاد ، أو الغزاليات في السمعيات باب المعجزات الحسية .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٦٤ .

فى نفس الوقت فإن سيدنا يونس عليه السلام ، إذ ذهب مغاضبا ، وانتهى به أمره إلى اليم ، فجعل الله عدم غرقه فى الماء معجزة . تحسب له ، وهى ترك ، وليست فعل .

﴿ قال تعالى ﴿ " وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين " ﴾[1] .

وبالتالى فإن أصحاب القول بالدلالة الفعلية ينقصهم الترك ، وهو معجزات أيضا ، فدل الأمر على أن تمسكهم باعتبار وجه الدلالة هذا الفعل تمسك فى غير موطنه .

(٢) **إن دلالة الفعل لا يدخل فيها القرآن الكريم** ، مع أنه أعظم المعجزات ، وهو معجزة من جانب آخر . إنه المعجزة العقلية

(١) سورة الصافات الآيات ١٣٩/١٤٨ .

التى لا تنقطع أبدا . قال تعالى ﴿ "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[1] .

(٣) **أصحاب القول بالدلالة الفعلية ، قد ضيقوا على أنفسهم** ، وحصروا المعجزات فى بعض الحسيات ، وذلك ليس بصواب ، يقول داعية العصر فضيلة الشيخ " محمد متولى الشعراوى ": « أن معجزات موسى عليه السلام منها ما هو حسى كاليد والعصا ، وانشقاق البحر . وانفلاق الحجر ، وإحياء القتيل ، ومنها ما هو وصفى للفعل الإلهى كالتوراة والألواح والصحف ، والأول فعل من أفعال الله . والثانى وصف لذلك الفعل ، فلما انتهى موسى انتهت معجزاته »[2] .

ولما كان الأمر كذلك فإن أصحاب القول باعتبار وجه الدلالة الفعل ليسوا على قول يخلو من الطعن عليه .

◈ لكن أى الآراء هو الأولى بالاعتبار ؟

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) الشيخ محمد متولى الشعراوى – معجزة القرآن الكريم جـ١ ص٢٠ – كتاب اليوم .

الجواب : ان العلماء بعضهم يرجح واحدا على غيره ، أو يؤكد عليه ، وبعضهم يذهب إلى ترجيح الكل ، يقول أحد العلماء « الحق أنه يصح أن تكون عقلية ، وأن تكون وضعية ، وأن تكون عادية »[1] . أما لماذا ؟

فلأنه يرى كل الآراء مصححة المعنى ، فهى تصح « أن تكون وضعية ، بمعنى أن دلالتها على صدق من ظهرت على يديه كدلالة الألفاظ على معانيها ، بواسطة وضعها لتلك المعانى .

كما يصح أن تكون عادية ، بمعنى أن عادة الله جرت بخلق العلم بصدق الرسل عقب ظهور المعجزة ، ولم تجر عادة الله تعالى من مبتدأ إرسال الرسل إلى الآن ، بخلق المعجزة على يد كاذب ، بل جرت عادته بأن يفضح كل من أراد أن يظهر النبوة ، وليس من أهلها [2] .

لكن هل الشيخ يرفض أن تكون عقلية ؟

والجواب : ان الشيخ يؤكد على أنه فى وجه الدلالة العقلية « يصح أن تكون حتى لا يلزم نفى الدليل بأن يوجد ولا يوجد مدلوله ، وهو

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة – مذكرات التوحيد ص١٢ .
(٢) المصدر السابق ص١٢ ، ١٣ بتصرف يسير .

صدق الرسول »[1] ، فصح أن تكون من ذلك الجانب دلالة عقلية أيضا .

ويذهب أحد الباحثين إلى مثل ما ذهب إليه العلامة أبو دقيقة . فيقرر « أن جملة الآراء صالحة لدلالة المعجزة على صدق الأنبياء ولكل وجهة »[2] .

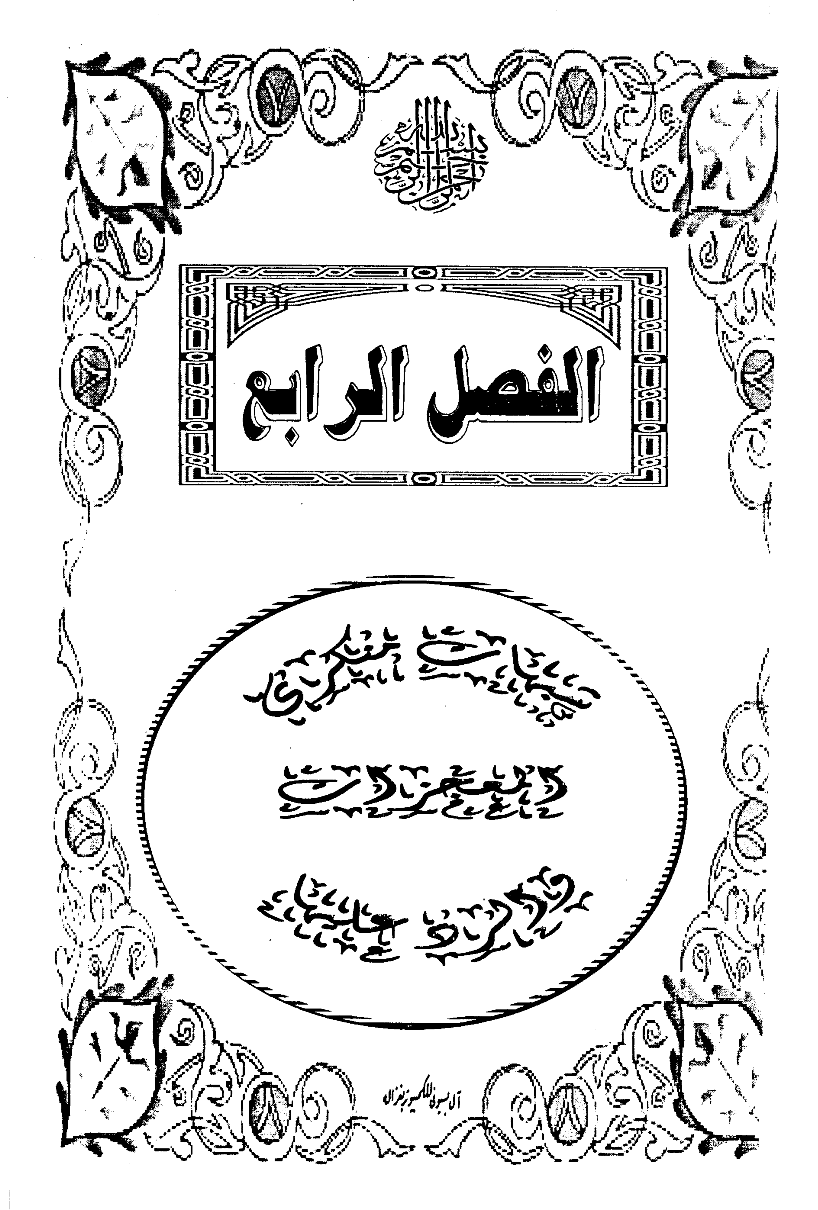
ونحن نؤكد على أن هذه الأوجه يصلح كل منها لقوم بأعيانهم . أما عند الجميع فإن اعتبار القول بوجه الدلالة العادية هو الأيسر قبولا ، والأقرب منالا ، لما سبق القول به ،

ولأنه يعيد الإنسان إلى ذاكرته الشخصية ومعلوماته الأولية . فيعود الإنسان من تلك السياحة مؤمنا بالله ، راضيا بما قسم الله متأكد من أن نبوة الأنبياء هي منحه من الله جلا علاه . وهو الذى نذهب إليه ، ونجد الأدلة الشرعية تعضده وتشهد له .

---

(١) المصدر السابق ص١٢ .

(٢) الحاج عبدالشكور بن الحاج حسين سعيد - النبوة بين المتكلمين والفلاسفة ص٣١٠ .



بسم الله الرحمن الرحيم
الفصل الرابع
شبهات منكري
المعجزات
والرد عليها

أنكر قوم المعجزات ، كما أنكروا النبوات ، وهم فى كل حال واقعون تحت تأثير ثقافات لا علاقة لها بالنصوص الشرعية . ولا بالقضايا اليقينية ، فضلا عن أن تكون ثقافتهم قائمة على قواعد دينية .

فى نفس الوقت فهناك من ينكروا المعجزات بناءً على أحكام العقل القاصر ، الذى يرفض قبول خرق العادة ، ومن ثم فالدارس للقضايا الكلامية بوجه عام ، والمعجزات بوجه خاص يجد منكرى المعجزات لا يجمعهم سوى الاتفاق على إنكارها .

يقول العلامة الباقلانى عنهم : إن منكرى المعجزات يقعون بين « جاهل وجاحد ، وبين كافر للنعمة وحاسد ، وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات ، وحائد عن النظر فى الدلالات ، وناقص فى باب البحث ، ومختل الآلة فى وجه الفحص ، ومستهين بأمر الأديان ، وغال تحت حباله الشيطان »[1] ،

---

(١) العلامة الباقلانى – إعجاز القرآن ص٢٠٤ .

ونعم ما وصف الباقلانى القوم ، فهم لا يخرجون فى جملتهم عن تلك الأوصاف ، سواء كان ذلك فى القديم أو فى الحديث .

أما لماذا ؟

فلأن كل رسول من رسل الله لابد وأن يكون « مؤيداً بمعجزة أو معجزات كثيرة تدل على صدقه »(1) ، تكون آتية له من قبل الله ، تصديقا له فى دعواه ، فهى بمثابة القول « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ، والمنكر لها كافر بره جل علاه .

ومن البين أن منكرى المعجزات لم يقتصر أمرهم على عصر من العصور ، أو زمن من الأزمان ، أو طائفة من الطوائف ، وإنما أخبرنا العلماء أنه ما من زمن من الأزمان إلا وفيه مثبتون للمعجزات . كما أن فيه منكرين لها ، وإن كان أهل الإنكار أقل بكثير من أهل التصديق .

وتلك حكمة لا يعلمها إلا الله جل علاه ، وإن كنا نذهب إلى أن لها حكمة عليا ، تقوم على أن أهل الإنكار يقومون بإثبات مزاعمهم فى إنكارها ، فيقوم أهل الإثبات بمناقشة تلك المزاعم وإبطالها .

(1) العلامة : أبو المظهر الأسفراينى – التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية ص١٠٤ – تحقيق شيخ محمد زاهد الكوثرى – تقديم الأستاذ محمود محمد الخضيرى – طبعة الأنوار .

فتظل مسألة المعجزات قائمة فى الأفهام ، ثابتة فى الأذهان ، وتلك مهمة كبرى ، تجعل المعجزة مستمرة .

والمعلوم أن منكرى المعجزات فى القديم[1] ، كانت لهم مزاعم وظنون ، وكذلك في الحديث[2] ، لهم مذاهب واتجاهات ، بجانب ما يزعمونه من قضايا وشبهات .

وقد تعرض لها الكثير من العلماء بالعرض والتحليل ، بجانب المناقشة التى انتهت بإبطالها ، وبيان فسادها .

ونحن فى هذه الدراسة سنحاول الإدلاء بدلونا فى عرض تلك الشبهات ، وبيان الردود عليها ، ومحاولة الإبانة عن الجهد الذى سوف نقوم به .

---

(١) نقصد بالقديم ما كان سابقا لعصر النبوة الخاتمة ، وجاء ذكره فى القرآن الكريم والرد عليه أيضا ما حفلت به آيات القرآن الكريم .

(٢) أقصد بمفهوم المنكرين حديثا : الذين تقوم شبهاتهم على قضايا عقلية خاضعة لقواعد العلم الاجتماعى أو قائمة عليه .

والمعلوم أن تقسيم الشبه التى قال بها المنكرون والرد على كل شبهة يمثل أمرا مهما ، ولذا فإنا سنحاول عرض كل شبهة ، ثم مناقشتها حسب ما يوفقنا الله تعالى إليه .

الشبهة الأولى
عدم إمكان وقوع المعجزة

(أ) عرض الشبهة :

◈ يذهب أصحاب تلك الشبهة إلى أن وقوع المعجزة أمر مستحيل فى العادة ، أما لماذا ؟

فلأنهم يذهبون إلى أن خرق العادة أمر غير مقبول ، باعتبار أن العادة قائمة ثابتة ، فإذا سلم بوقوع المعجزات وجب التسليم بخرق العادات ، تلك سفسطة[1] ما يقول بها إلا من يذهب إلى قلب الحقائق .

(١) السفسطة : هى قياس مركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته كقولنا « الجوهر موجود فى الذهن ، وكل موجود فى الذهن قائم بالذهن ، عرض لينتج أن الجوهر عرض » – راجع التعريفات للإمام السيد الشريف الجرجانى ص١٠٤ .

يقول العلامة السعد[1] فى تصوير تلك الشبهة عندهم : « إن تجويز خوارق العادات سفسطة - إذ لو جازت - خوارق العادات - لجازت أن ينقلب الجل ذهبا ، والبحر دهنا ، والمدعى للنبوة شخصا آخر ظهرت عليه المعجزة . إلى غير ذلك من المحاولات التى تحكم العادة بعدم وقوعها ، لأنها لو وقعت لتكررت وصارت مألوفة للناس جميعا .

ومثل ذلك إن جاز فإنه يجوز أيضا تحول أوانى المنزل إلى رجال ، وتولد الإنسان دفعة واحدة من غير أب ولا أم[2] ، وذلك محال

---

(١) الإمام سعد الدين التفتازانى (٧٩٣/٧١٢ هـ) ، (١٣٩٠/١٣١٢م) ، هو : مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد بتفتازان من بلاد خراسان ، أقام بسرخس ، وأبعده تيمور لأنك إلى سمرقند فتوفى بها ودفن فى سرخس ، ومن كتبه « تهذيب المنطق ، المطول فى الكلام ، شرح مقاصد الطالبين ، شرح العقائد النسفية ، شرح المقاصد .. الخ » ، ولد فى عام ٧٢٢هـ ، وتوفى ٧٩٣هـ - راجع الأعلام للزريكلى جـ٨ ص١١٤/١١٣ ، وأيضا هدية العارفين للبغدادى م٢ ص٤٢٩ .

(٢) العلامة الايجى - شرح المواقف ص٣٤٤ بتصرف ، والإمام الايجى هو الإمام القاضى عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار البكرى الايجى ، ولد ببلدة " وايج " من نواحى شيراز بفارس ، وكان مولده فى عام ٧٠٨هـ ، وكان له شيوخ كبار ، ومنحه الله بسطة فى العلم والمال ، فمن علمه : أنه كان عالما بالبلاغة واللغة . أما ماله ، فيروى أنه كان صاحب مال وفير وسّع منه على طلبة العلم ، ونظرا لكثافة علمه وثراء ماله ، فقد كانت له كلمة مسموعة وأمر نافذ ، توفى رحمه الله مسجونا بقلعة دريمان عام ٧٥٦هـ عن عمر يناهز ثمان وأربعين عاما - راجع الأعلام للزركيلى جـ٤ ص٦٦ ، ومعجم المؤلفين عرضا كحاله ١١٩/٥ .

فى العادة ، فى نفس الوقت فإن وقوعها يؤدى إلى الإخلال بالقواعد العامة التى جرت بها العادة .

وبناءً عليه : فإن المعجزة تكون مستحيلة فى العادة ، وليست ممكنة ، كما أن القول بوقوعها يصير هو الآخر باعتبار أن ما يقوم على المحال فى تصوره يكون هو الأخر محالا .

ب- مناقشة الشبهة :-

من المعلوم أن أشياخنا قد تناولوا تلك الشبهة وناقشوها على جوانب عديدة ، نذكر منها ما يلى :-

(١) **أن المعجزة لا تقوم على خرق العقل** ، بل تقوم على خرق العادة ، والفرق بينهما كبير « كما أن خرق العادات ليس أعجب من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، ومن انعدامهما ، والجزم بعدم وقوعها لا ينافى إمكانها »[1] ، لما بينهما من فوارق كثيرة . فنحن عادة ما نجزم باستحالة وجود شيء ما بناءً على عدم معرفتنا به ، لكن ذلك لا يمنع من فرض وجوده ، أما لماذا ؟

(١) العلامة الايجى – المواقف ص٣٤٥ ، وكذلك شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٣١ .

فلأنا إنما حكمنا بناء على معارفنا القائمة ومعلوماتنا القاصرة ، فإذا حدث لنا علم جديد جعلنا نغير ما كنا قد اعتقدناه . وبالتالى فإن المعجزة ممكنة فى نفسها ، وليست مستحيلة ، وبناء عليه ، فخرق العادة للمعجزة أمر ممكن فى ذاته ، ولا يوقع القول به فى سفسطة - كما زعم المنكرون - ، أو الوقوع فى محال عادى . أو محال عقلى .

يقول العلامة السعد التفتازانى : « وإن المراد بخوارق العادات أنها أمور ممكنة فى نفسها ، ممتنعة فى العادة ، بمعنى أنها لم تجر العادة بوقوعها . كانقلاب العصى حية ، فإمكانها ضرورى ، وإبداعها ليس أبعد من إبداع خلق الأرض والسماء وما بينهما ، والجزم بعدم وقوع بعضها ، كانقلاب الجبل والبحر وهذا الشخص ، وأمثال ذلك ، لا ينافى الإمكان الذاتى »[1] .

(١) العلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٣١ .

باعتبار إن الإمكان الذاتى غير الإمكان الإضافى ، فالذاتى هو : ما لا يكون « طرفه المخالف واجبا بالذات . وإن كان واجبا بالغير »[1] .

ولذا يذهب الأمدى إلى أن « المتحدى بالرسالة إذا لم تظهر على يديه المعجزة الدالة على صدقه ، قطعنا بكذبه ، بالنظر إلى العادة التى تقضى بكذب من يدعى ما يخالف العادة من غير دليل ينهض له »[2] .

فإذا نهض الدليل له فلن يكون إلا المعجزة ، وبهذا يثبت أن المعجزة ممكنة عادة ، وأنها وقعت فعلاً ، وأنها فوق مدركات العقل ، وليست ضده ، أو من موضوعاته التى يحكم عليها .

(٢) **أن المعجزة وقعت فعلا ،** فإنكارها يمثل إنكار واقع معلوم بالضرورة وجوده ، باعتبار أن القرآن الكريم قد تحدث عنه ، ومعلوم كذلك بالرواية طبقا لما جاء فى الحديث النبوى الصحيح ،

---

(١) العلامة السيد الشريف الجرجانى – التعريفات ص٣٠ طبعة الحلبى .

(٢) العلامة الأمدى – الأحكام فى أصول الأحكام جـ١ ص٢١٨ – طبعة دار التراث .

كناقة صالح ؟[1]، وعصى موسى عليه السلام[2] . وتسبيح الحصى . وتسليم الشجر[3] ، إلى غير ذلك من المعجزات[4] ، التى ورد ذكرها فى

---

(١) قال تعالى : ﴿ " وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ " ﴾ سورة هود الآية ٦٤ .

(٢) قال تعالى : ﴿ " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى " ﴾ سورة طه الآيتان ١٨/١٧ .

(٣) تسبيح الحصى وتسليم الشجر من المعجزات الحسية لرسولنا محمد ﷺ ،وهى من خوارق العادات فى جملتها وفى آحادها :

فمن تسبيح الحصى بين يديه ﷺ شهادة له ، يروى أنس ﷺ قال « أخذ رسول الله ﷺ كفا من حصى فسبحن بين يديه ، حتى سمعنا تسبيحها ، ثم صبهن رسو الله ﷺ فى يد أبى بكر فسبحت كذلك ، ثم صبها فى أيدينا فلم تسبح .

وعن تسليم الشجر : فروى عن علىّ كرم الله وجهه قال : كنا بمكة مع رسول الله ﷺ ، فخرج إلى بعض نواحيها ، فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسو الله . راجع جوهرة التوحيد – إبراهيم اللقانى والأعلام للإمام القرطبى جـ٣ ص٢٥٨ .

(٤) ومن المعجزات الحسية لرسولنا ﷺ :

انشقاق القمر : قال ﴿ " أقتربت الساعة وانشق القمر " ﴾ فقد ذكر بعض المفسرين أن صناديد قريش اجتمعوا فقالوا يا محمد : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعد الإيمان ، وكانت ليلة البدر ، فرفع رسول الله ﷺ أصبعه وأمر القمر بأن ينشق نصفين ، فانفلق فلقتين ، فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت فى موضعه ، وقال أبن مسعود رأيت حراء بين فلقى القمر .

وقد رآه كل من أهل مكة وغيرهم فكان انشقاقه آية كونية له ﷺ ومعجزة حسية جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف . =

ذكرها فى القرآن الكريم ، والحديث النبوى الصحيح ، وبالتالى

= ومنها : حنين الجذع : ومجملها : أن رسول الله ﷺ كان يخطب على جذع نخلة ، فصنع له منبر ، وترك الجذع الذى كان يخطب عليه ، فحن الجذع حنين الإبل الفاقدة أولادها حتى تصدع وانشق .

فجاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكن فقال النبى ﷺ له : ان شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه فتنبت لك عروقك ، ويكمل خلقك ، ويجدد خوصك وثمرك ، وإن شئت أغرسك فى الجنة يأكل منك ومن ثمرك أولياء الله ، ثم أصغى له النبى ﷺ يستمع ما يقول . فقال الجذع : بلى تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه يسمعه من يليه ، فقال له قد فعلت ،

ثم قال رسول الله ﷺ اختار دار البقاء على دار الفناء ، فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقا إليه ، فأنتم أحق بذلك ، وأن تشتاقوا إلى لقائه .

ومنها : شهادة الشجرة ، فقد روى أنه طافت برسول الله ﷺ شجرة ، ثم رجعت إلى منبتها ، فقال رسول الله أنها استأذنت أن تسلم ، وقد سلمت عليه ، ثم عادت لمنبتها معجزة له ﷺ .

ومنها شهادة الأسقف والحوائط : فقد روى العباس أن رسول الله ﷺ غطاه وبنيه بملحفة – وهى الملاءة التى يتغطى بها النائم – ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملحفته ، فأمنت أسكفة الباب – وهى عتبة الباب – وحوائط المنزل آمين آمين .

ومنها تكليم الذراع المسمومة ، واضطراب الجبل وسكونه ، وحديث الناقة ، وتكثير الطعام القليل ، وتفجير الماء من بين أصابعه ، وحديث الظبيه ، وشهادة الضب – راجع الإمام القرطبى – الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام جـ٣ ص٣٥٩/٣٦٠ وما بعدها . ، جوهرة التوحيد الشيخ إبراهيم اللقانى ، ودراسات فى العقيدة الإسلامية – أ.د عوض الله جاد حجازى – دار الطباعة المحمدية ط١ سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

فزعم إنكارها وعدم إمكانها مردود عليه بما ورد فى النقل المنزل .

الشبهة الثانية
عدم ثبوت المعجزة على الغائبين

أ- عرض الشبهة :-

يزعم المنكرون للمعجزات أنها لا تثبت على الغائبين ، وهم كثرة ، بينما الحاضرون قلة ، ولا يرد حكم القلة على الكثرة ، باعتبار « أن أقوى طرق نقل المعجزة هو التواتر .

والتواتر هنا لا يفيد اليقين للغائبين ، لأن جواز الكذب على كل واحد من نقلتها يوجب جواز الكذب على مجموع الكل ، باعتبار أن الآحاد هى المكونة له »[1] . وما يفيده خبر الواحد لا يؤدى إلى اليقين أبدا .

◐ **وبناء عليه** : فإن المعجزة ، وإن ثبتت للحاضرين فإنها لا تثبت أبدا على الغائبين ، مهما كان عدد الروايين لها ، وقد فصل

---

(١) راجع فى هذا الشأن شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ ، وكذلك المواقف ص٣٤٦ .

العلامة الايجى تلك الشبهة . فقال « من قال العلم بحصول المعجز لا يمكن لمن لم يشاهده ، إلا بالتواتر ، ولكنه لا يفيد العلم ، باعتبار أن أهل التواتر يجوز الكذب على كل واحد منهم ، فكذا الكل ، لأنهم أفراده ، وهو جنسهم »[1] ، ومن ثم فإن المعجزة لا تثبت على الغائبين ، وإن ثبتت للحاضرين .

ب- مناقشة الشبهة :

(١) **لا شك أن تلك الشبهة قائمة على مفهوم خاص جدا ، هو مفهوم التواتر** ، ولكن يجب التفريق بين مفهوم التواتر ومفهوم المتواتر . والطعن في التواتر لا ينصب على المتواتر الذى ثبت تحقق شروطه فيه .

يقول العلامة الايجى : « والجواب منع مساواة حكم الكل لحكم كل واحد من أفراده لما يرى من قوة العشرة على تحريك مالا يقوى عليه كل واحد »[2] ، على سبيل الاستقلال لما هو معلوم من أن العشرة يستطيعون تحريك أمر كبير أو جسم كبير

(١) العلامة الايجى – المواقف ص٣٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص٣٤٨ .

في الوقت الذى يعجز واحد مهما كانت قوته على القيام بنفس الدور الذى قام به العشرة وبذات الكفاءة ، وذلك واضح لا ينكره إلا من ينكر البدهيات .

(٢) **إن التواتر غير المتواتر** ، بمعنى أن التواتر « في اصطلاح المتشرعة ، إنما هو عبارة عن تتابع الخبر عن جماعة مفيد للعلم بمخبره ، وأما المتواتر في اصطلاحهم ، فهو عبارة عن خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بمخبره »[1] .

(٣) **إن احتجاجهم بالتواتر على مفهوم خاص** إنما يجيئ في غير موضعه ، ولو قيل أنهم قصدوا المتواتر ، ولم يقصدوا التواتر ما أنجاهم ذلك .

لأن العلماء يذهبون إلى أن التواتر والمتواتر كل منهما يفيد العلم ، ولا يمكن أن يقال : أن التواتر ينحل إلى أفراد ، لأن الخبر المتواتر لا يمكن أن تنحل جماعته إلى آحاد ، وإلا فقد وصف المتواتر ضرورة ، أن المتواتر لابد فيه من الجماعة ، بل في كل طبقة من طبقاته .

(١) العلامة الأمدى – الأحكام فى أصول الحكام جـ١ ص٢٢٠ مطبعة صبيح .

ولذا يعرف بأنه « ما رواه جمع عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب عادة أو صدوره منهم اتفاقا عن مثلهم فى كل طبقة من طبقاته ، ولابد أن يكون مستند انتهائهم الحس ، بل ويصحب خبرهم إفادة العلم بنفسه لسامعة »[1] .

بل أن الإمام السعد يقرر : أن المعجزة تثبت على الغائبين ثبوتها للحاضرين متى نقلت بالتواتر باعتبار « أن المتواترات أحد أقسام الضروريات ، فالقدح فى المتواترات لا يستحق الجواب عليه »[2] .

ومن البدهى القول بأن إنكار الضرويات يمثل قدحا فى عقل المنكر لا قدحا فى إثبات التواتر نفسه ، ولا يحتج بقول القائل : « إن التواتر غير مضبوط بعدد ، وإنما هو مضبوط بحصول العلم به »[3] ،

(١) الدكتور / مصطفى التازى – محاضرات فى علوم الحديث جـ٢ ص٧ – طبعة دار التأليف .

(٢) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٣) ذلك مما عرضه العلامة الايجى كتصوير لاجزاء تلك الشبهة عند المنكرين للمعجزات ، وكونها ممكنة .

فيكون إثبات التواتر قائما على حصول العلم وحصول العلم قائما على إثبات التواتر فاندفع الأمران - أمر إثبات التواتر وحصول العلم به- .

غير أن ذلك غير وارد ، لأن العلم الضرورى الحاصل عن التواتر على شرطه هو مقصودنا فى إثبات المعجزة على الغائبين « لا أنا نستدل بالتواتر على ما ادعيناه . والفرق بين الأمرين - أمر التواتر المضبوط ، وأمر حصول العلم به - ظاهر[1] ، فالقدح فى إمكان المعجزات من تلك الناحية مردود على وجه صاحبه .

بل الثابت أنها أمر ممكن يجب التسليم به ، وأنه واقع فعلا « أما أنها ممكنة عقلا ، فلأن العقول السليمة لا تجد مانعا من أن الله تعالى يظهر على أيدى رسله خوارق العادات تصديقا لهم ، ... .

وأما أنها واقعة فعلا ، فلأنه قد ثبتت معجزة القرآن الكريم بالتواتر ، وقص الله علينا فيه كثيرا من معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام »[2] .

---

(١) العلامة الايجى - المواقف ص٣٤٨ .

(٢) الدكتور / محمد أبو النور الحديدى - عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجه إليهم ص٥١ - مطبعة الأمانة .

فى نفس الوقت فإن المعجزة فعل من أفعال الله ، يعجز البشر عن مثلها ، وهو فوق مقدوراتهم ، وخارج نطاق إمكانياتهم ، كما أنها مخالفة للسنن التى جرت ، والقوانين الطبيعية التى صارت مألوفة لدى الناس[1] .

وهى أيضا أمر يظهره الله بخلاف العادة « على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين له على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله »[2] .

وبالتالى فمتى ثبتت المعجزة فقد خرقت العادة ، وقامت حجتها على الغائبين كما قامت على الحاضرين باعتبار أن دلالتها على صدق الرسول يقينية ، سواء كان ذلك على الحاضر أو الغائب باعتبار أن الحاضر تكفيه المشاهدة .

أما الغائب عنه فيكفيه التواتر القائم على سبيل اليقين فى وجدان المخبر به ، وآية ذلك « أن معجزة نبينا ﷺ القرآن الكريم ،

(١) العلامة أبو القاسم على بن الحسن البغدادى – تنزية الأنبياء ص١١٨ – مطبعة الحيدرية .
(٢) العلامة السعد التفازانى – شرح التفتازانى على العقائد النسفية ص١٣٣ طبعة الحلبى .

وقد جعله الله في أعلى طبقات الفصاحة لما كانت الغلبة للفصاحة والفصحاء في ذلك الزمن ، وبها كان يفاخر أهله »[1] .

وقد ثبت للحاضر والغائب وستظل إلى يوم القيامة ان شاء الله رب العالمين باعتبار أنه المعجزة العقلية التي « يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله »[2] .

وقريبا من هذا المعنى قرر الإمام الغزالى أنه « لا معنى للمعجزة إلا ما يقترن بتحدى النبى ﷺ عند استشهاده على صدقه ، على وجه يعجز الخلق عن معارضته ، وتحديه على العرب مع شغفهم بالفصاحة . وإغراقهم فيها متواتر . وعدم المعارضة معلوم ، إذ لو كان لظهر ، فإن أراذل الشعراء لما تحدوا بشعرهم وعورضوا ظهرت المعارضات والمناقضات الجارية بينهم[3] .

وبهذا يثبت للقاصي والداني أن منكرى المعجزات بناء على تلك الشبهة لا يستقيم لهم أمر ، كما أن من يجرى خلفهم لا اعتداد

(١) القاضي عبدالجبار بن احمد الهمداني /شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٢ .

(٢) الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني / مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ ص ٧٣ .

(٣) الأمام أبو حامد الغزالى / الاقتصاد فى الاعتقاد /القطب الرابع / الباب الأول فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ صـ ١٠٦ .

بقوله ، باعتبار ان إنكار البدهيات ينعكس على أصحابه برفض قبـول ما يصدر عنهم .

الشبهة الثالثة
إنكار أن يكون المعجز من أفعال الله

أ- عرض الشبهة :

يذهب منكرو المعجزات إلى أن الخارق للعادة لا يـدل علـى صدق النبى فى دعواه النبوة ، باعتبار أن النبوة لا تدل عليها المعجزة ، أمـا لماذا ؟

فلأن ما يظهر على يد مدعى النبوة قد يكون فعلا مـن أفعالـه هـو لا من أفعال الله ، وأن يكون راجعا لمخالفة نفس من جـرت علـى يديـه لسائر النفوس الأخرى لخاصية فيـه ، أو لـمزاج فـى بدنـه ، أو لكونـه ساحرا ممن يتمكنون من إجادة ذلك الفن .

أو أن يكون ما جرى على يديه راجعا لخاصية فى بعض المركبات المستخدمة ، أو الأسرار العلمية لما هو معروف من أن السلوة حجـر إذا دلك بشدة ، ثم وضع فى الماء فإنه يخرج ألوانا مختلفة تجعل من ينظر

إليه يعتقد أن فاعله قد أتى أمرا معجزا ، وما هـو إلا عمـل مـن أعمـال التمويه والحيل ، تم استخدمها عن طريق « إخفائـها تحـت حركـات وأحوال يظن الرأى أنها هى المؤثرة مع أن المؤثر خفى »[1] .

أو أن يكون ذلك راجعا لخاصية مادة بعينها تم اسـتخدامها كمـا يحدث فى المغناطيس والكهرباء واستخدام الجاذبية على النحـو الـذى يبدوا خارقا للعادة ، بينما هو فى الحقيقة أمر عادى راجع لمقـدرة مـن قام به ، ولا ينسب إلى الله أبدا [2] ، وبالتالى فلا يصـير الفعـل الخـارق معجزة ، رغم أنه من قبيل الخوارق للعادات .

بل ربما استند القائم بذلك الفعـل إلى وجـه الاسـتعانة بـالجن أو الاتصالات الكوكبية ، أو وافـق فعلـه وضعـا مـن الأوضـاع الفلكيـة مـن جريان فلك أو ظهوره أو اختفائه إلى غير ذلك من الوجــوه ، فـإن ذلـك الفعل لا يمكن أن يكون دليلا على المعجـزة مـع أنـه فـى الظـاهر خـرق

---

(١) العلامة محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحريـــــر والتنويـــر جـــــ١ ص٦٠٨ طبعـة أولى عيسى الحلبى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(٢) الإمام عضد الدين الايجى – المواقف ص٣٤٥ ، حيث حكى قريبا ما ذكرناه مع تلخيـــص شديد .

للعادة ، وبالتالى فإنه لا يؤدى إلى إثبات النبوة أو تصديق النبى فى دعواه .

ب- مناقشة الشبهة :-

لا شك أن عرض الشبهة قد أبان عن وجه من الوجوه التى يحتمى بها منكرو المعجزة ، وهو اختلاط الفعل الخارق للنبى مع الفعل الخارق لغير النبى .

والجواب عليها ما ذكره العلامة السعد التفتازانى حين قال : « أنه لا مؤثر فى الوجود إلا الله وحده لا سيما فى مثل : إحياء[1] الموتى وانقلاب العصا حية[2] ، وانشقاق القمر[3] ، وسلام الحجر

(١) قال تعالى : ﴿ " ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين " ﴾ سورة آل عمران - الآية ٤٩

(٢) قال تعالى : ﴿ " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأ ولى " ﴾ سورة طه الآيات ٢١/١٧ .

(٣) قال تعالى : ﴿ " اقتربت الساعة وانشق القمر {١} وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " ﴾ سورة القمر الآيتان ٢/١ .

والمدر[1] ، على أن مجرد التمكين وترك الدفع من قبـل الحكيـم القـادر المختار كاف فى إفادة المطلوب[2] .

وبالتالى فإن المؤثر فى مثل هذه الحالات لا يمكـن أن يكـون فعـلا من أفعال غير الله ، بل أن العقل الصحيح يجزم بأن ذلك الخارق الواقع مع مدعى النبوة الصادق إنما هو من أفعال الله ، وقد جاء تصديقا للنبـى فى دعواه ، وأن الله تعالى علـى يـدى ذلـك النبـى أجـراه فوجـب صدق النبوة بدلالة المعجزة عليها .

---

(١) روى عن العباس أن رسول الله ﷺ غطاه بملحفة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملحفته فأمنت أسكفة الباب - عتبة الباب - وحوائط المنزل آمين آمين - راجع الاعلام للإمام القرطبى جـ٣ ص٣٥٨ ، وانظر المعجم الوجيز ص٣١٦ .

والحجر : يدخل فى مفهومه الحصى والجبل ، وما كان من هذه الجمادات ، وقد تواتر أن النبى ﷺ كان على جبل أحد مع جماعة من أصحابه ، فتحرك الجبل ، فقال ﷺ « اسكن أحد حراء ، فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » -راجع الإعلام جـ٣ ص٣٥٨ ، .أيضا الروف والسيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص١٧٥ .

والمدر : هو الطين اللزج المتماسك ، والقطعة منه تسمى كدرة ، وأهل المدر هم سكان البيوت المبنية منه ، علا خلاف أهل الوبر ، وهم البدو سكان الخيام ، وكان رسول الله ﷺ إذا مر على طينة متماسكة ومعه أحد الصحابة سمعوها تسلم على رسول الله ﷺ بلسان فصيح يسمعونه جميعا ، وكل مدرة مع غيرها يتكون منهم بيت - راجع المعجم الوجيز باب الميم ص٥٧٦ .

(٢) العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

وبهذا يمكن فهم تعريف العلامة السعد للمعجزة بأنها « أمر يظهره الله بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجزون عن الإتيان بمثله »[1] .

وقد أحسن العلامة الأمدى حين تحدث عن معجزات سيدنا رسول الله ﷺ ودورها فى تأكيد نبوته ﷺ ، حيث قال :

« ومن جملة آياته ومعجزاته الظاهرة حنين الجزع اليابس إليه ، وسلام الغزالة عليه ، وكلام الذراع المسمومة له[2] ، وتسبيح الحصى بين يديه ، ولا محالة فى أن هذه كلها من الخوارق للعادات ،

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح التفتازانى على العقائد النسفية ص١٣٣ .

(٢) ومجمل المعجزة : أن امرأة يهودية دبرت الكيد لرسول الله ﷺ فوضعت له السم فى شاة ذبحتها ، ودعت الرسول ﷺ لتناول طعامها ، فإذا بالشاة تنطق ، وتقول : يا رسول الله لا تأكلنى فإنى مسمومة .

ويقول أستاذنا فضيلة الدكتور " عوض الله جاد حجازى " « لنبينا محمد ﷺ معجزات كثيرة حسية ، مثل تكليم الذراع المسمومة ، وانشقاق القمر ، نبع الماء من بين أصابعه ، وتظليل الغمام له ، ومعنوية وقد أوضحها القرآن الكريم ، وهو آخر الكتب السماوية نزولا . وهى كلها معجزات له ﷺ » – راجع دراسات فى العقيدة – الدكتور / عوض الله جاد حجازى .

وليست مما يدخل تحت وسع شيء من المخلوقات »[1] ، فدل ذلك على أنه النبى .

ونحن نذكر أن المعجزة فى حقيقتها لسان يحدث الناس على قد عقولهم « وباللغة التى يتعاملون بها سواء كانت حسية أو عقلية ، فإنها لكى تكون حجة على الناس ينبغي أن تقدر بقدرهم ، وتحسب بحسابهم ، ومن أجل هذا كانت معجزات الرسل واقعة على حسب كل أمة ، ولكل رسول معجزة ، أو أكثر تناسب حال قومه »[2] .

إذن نحن نذهب إلى أن مجرد مقارنة الخارق لدعوى النبوة وجريانه على وفق ما يدعى النبى الصادق ، فإنه يعتبر مميزا له ، ودليلا على كونه من قبل الله قد نبئ .

(١) العلامة الآمدى – غاية المرام ص٣٤٥ .

(٢) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – النبى محمد صلى الله عليه وسلم ص٧١ .

الشبهة الرابعة
إنكار أن يكون خارقا للعادة بل ابتداء عادة

أ- عرض الشبهة :

يذهب المنكرون للمعجزات إلى تقديم احتمالات فى دفعها . ومن تلك الاحتمالات أن يكون الخارق حسب مجيئه مع النبى ابتداء لعادة جديدة ، ستأتى فى المستقبل لم يكن لها وجود فى الماضى .

وما دام الأمر متعلقا بالخارق ، فإنه لا يكون خارقا لعادة قائمة ، وإنما يكون أمرا مستحدثا . فلا يعتبر من قبيل علامات تصديق النبى ، وإذا كان السائد أن الآيات التى تأتى مع الرسول تتضمن إثباتها معجزات ، فإن جريان العادة المبتدأة لا يدخل فى الخوارق للعادات .

وإذا كنا قد عرفنا أن هناك « وحدة للرسالات السماوية فيما تهدف إليه من هداية الإنسان وإقامة الدين »[1] ، فإن المعجزة ليست

(١) الدكتور / صلاح عبدالعليم ابراهيم - العقيدة فى ضوء القرآن الكريم جـ١ ص٢٥٦ - ط الأولى عام ١٤٢٠هـ/١٩٨٢م .

من تلك القوائم الثابتة أبدا، وما دام الأمر كذلك فإنها لا تعتبر قائمة فى الماضى ولا فى الحاضر .

ثم ما المانع أن يكون الخارق فى مفهوم مدعى النبوة مجرد تكرار لعادة متباعدة فى الحصول ولا تكون خارقة للعادة فى الآن فجريانها على يديه ليست معجزة ، بل تكرار عادة ، ويصور العلامة السعد التفتازانى تلك الشبهة قائلا :

« احتمال ألا يكون المعجز خارقا للعادة ، بل ابتداء عادة أراد الله إجرائها أو تكرير عادة لا تكون إلا فى دهور متطاولة ، كعود الثوابت إلى نقطة معينة »[1] ، وما دامت ممثلة فى العادة المبتدأة أو المكررة فإنها لا تكون من الخوارق للعادات أبدا ، وإلا انقلبت التسميات واستحالت الثوابت إلى مرجوحات .

وقد سار على تلك الشبهة الكثيرون ممن تغنوا بمزاعم العلم الحديث ، أو حاولوا الاعتماد على شبه لا وجود لها إلا فى خيالات الحالمين ، ولما كان العلم لا يعرف إلا الحقائق ، فإن النتيجة النهائية هى ضرب الصفح عن تلك المفردات التى لا جدوى من ورائها .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

ب - مناقشة الشبهة :

(١) ليس هناك شك فى أن أصحاب تلك الشبهة قد بذلوا مجهوداتهم فى دعمها بكل ما يمكنهم القيام به . وتناسوا أن كثرة المعجزات وتكرارها يمثل التأكيد الدائم عليها ، بل أن المعجزة متى ظهرت على وفق دعوى النبوة فقد تأكد للجميع أن صاحبها نبى لا محالة .

بل أن من تحدث عن معجزات سيدنا محمد ﷺ على الإجمال أو التفصيل ينتهى إلى أنها أمور خارجة عن ذاته ، كانشقاق القمر ، وتسليم الحجر ، أو أمور فى ذاته . مثل النور الذى كان ينتقل به من أب إلى أب ، إلى أن خرج من الدنيا . والى أمور فى صفاته كعدم صدور الكذب منه ، وعدم الاقدام على قبيح »[1] . فأكد أن هذه الأفعال جميعا لا تصدر إلا عند نبى ، ولا يوصف بها إلا النبى ﷺ .

(١) العلامة الفخر الرازى – الأربعين فى أصول الدين – جـ٢ ص٧٥/٨٨ ، فقد تحدث عن هذه لمعجزات الحسية فى شيء من التفصيل يحسن الرجوع إليها ، ففيها خير كبير .

(٢) أن هذه الشبهة بجزأيها – ابتداء العادة أو تكرار العادة – قد ردها علماء الإسلام .

يقول الإمام السعد في الجواب عنها : « أنها كانت ابتداء عادة ، فلا حديث لنا عنها »[1] ، لأن العادة المبتدأة لا تكون خارقا ، ولا يتحدى النبي بها أحد ، إنما نخص بالحديث ما وقع اليقين بأنه خارق للعادة .

وبناء عليه : فلا يكون أمر العادة المبتدأة خارقا ولا معجزا .

(٣) « أن كلامنا فيما حصل الجزم بأنه خارق للعادة ، ومن ثم فلا يقابل بالعادة المبتدأة ولا المكررة ، لأن شرطه أن يكون خارقا لعادة مألوفة وعرف متبع ، وعلى خذا بطلت تلك الشبهة ، ودلت المعجزة على إفادتها ، صدق النبي فيما ادعاه »[2] .

(٤) أن العلماء حين عرفوا المعجزة انتبهوا إلى أنها أمر خارقا للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة أو الرسالة تصديقا له في

---

(١) العلامة سعد الدين التفتازاني – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص١٤٢ وراجع الأربعين في أصول الدين جـ٢ ص٧٢ وما عبدها .

دعواه مقرونا هذا الأمر بالتحدى مع عدم المعارضة ، وعجز جميع الناس عن الإتيان بمثله ، وأن يكون المعجز موافقا لدعوى النبى فى دعواه ، وأن يتم ذلك فى زمن التكليف »[1] . وهذا التعريف فى حد ذاته كاف فى الرد على تلك الشبهة .

◈ أما كيف ؟

◐ فلأن أمر الشبهة قائم فى نفى الخارق بناء على العادة المبتدأة أو المكررة ، وهذا خارج نطاق تعريف المعجزة بكونها من الأمور الخارقة للعادة .

ونحن نذهب إلى أن تلك الشبهة لا مكان لها ، وأنها إن احتملت على نفى دلالة الفعل الخارق على النبوة ، فإنها لا تفى بغرضها . لأن الأجزاء التى قامت عليها مجرد احتمالات فرضية لا أساس لها . والقاعدة أن القضايا اليقينية هى التى تبنى عليها القواعد . أما الظنيات فلا مجال لها فى العلوم اليقينية .

---

(١) الإمام البغدادى – أصول الدين ص١٧٠ .

الشبهة الخامسة
العقل يرفض المعجزات

أ- عرض الشبهة :-

يذهب منكرو المعجزات إلى أن العقل يحيلها ويعتبرها في غير موطنها من حيث أن دعوى النبوة قائمة على مجرد الرغبة في اتباع رجل مثلنا في الصورة والنفس والعقل .

وأن تلك الأمور الخارقة تجرى على يديه . وهو يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، ولا يوجد له فعل أو تمييز على أحدنا ، فإذا جاء معه الخارق صرنا بالنسبة إليه ألعوبة بين يديه يتصرف فيها كيفما شاء كأننا حيوانات أو جماد .

وهذا المدعى للنبوة اللاعب بعواطفنا لا تميز له علينا أبدا ، كما أن حجته ومعجزته ليست حقيقة واقعة ، ،أيضا أخباره عن الغيب ليس مستقلا به « فعندنا من خصائص الجواهر والأجسام ما لا يحصى كثرة ، ومن المخبرين عن مغيبات الأمور من ساوى خبره »[1] ،وأزاد

---

(١) العلامة الشيخ عبدالكريم الشهرستاني - الملل والنحل جـ٣ ص٩٦/٩٧ .

عليه ، ومن ثم فلا اعتداد بما جرى على يديه لعدم معرفتنا استقلاله وحده به .

كما أن ما جرى على يديه لا يستطيع العقل تمييزه عن الحيلة والسحر والشعوذة وسائر المخترعات ، لأنه « ما من معجز إلا ويجوز أن يكون من باب الشعوذة وخفة اليد ، وما جرى مجراهما »[1] .

فثبت أن العقل يرفض وجود خوارق العادات . كما يرفض التسليم بخبر المعجزات ، وما دام العقل محط التكليف فإن أحكامه واجبة النفاذ .

ثم أن العقل حجة الله على عباده ، فمن حسنه فهو حسن . وما قبحه فهو قبيح ، والعقل عندنا هو النبى ، ولا نبى سواه . وكيف لا ، وأبو العلاء المعرى يقول :

العقل يحث والشرائع كلها ∴ خبر يقلد لم يقسه قائس

متمجسون ومسلمون ومعشر ∴ متنصرون وهائدون وسائس

وبيوت نيران تزار تعبدا ∴ ومساجد معمورة وكنائس

(١) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٤ .

والصـــابئون يعظمـــون كواكبـــا ∴ وطبـاع كـل فـى الشـرور حبـائس [1]

ثم أن العقل قد اثبت تفوقا فى عالم الشهادة . وكذلك يقاس أمره فى عالم الغيب إذا افترضنا أن هناك غيبا ، أمـا إذا لم نفـترض وقررنـا أن العقل وحده هو الذى تقبل علاماته « فقد كان أولى بـه فـى حكمتـه وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به »[2] .

وفوق ذلك فإن العقل قد خص وحده بالسؤال والمعرفة والإلهـام . فما يقرره فهو مقبول ، وما يرفضه فهو مرفـوض ، وكيـف لا والعقـل بالنسـبة لصاحبـه نبـى شـخص لا يفارقـه ، وقديمـا قـال أبـو العــلاء المعرى :

أيها المغـرور إن خصصـت بعقـل ∴ فأســألنه فكـــل عقـــل نبـــى [3]

وبالتالى فإن العقل يرفض المعجزة ، ولا يقبلـها علـى ناحيـة مـن النواحى مهما قيل فيها من أنها جاءت لتأييد النبى . أو تـأكيد خـبره

(١) ابو العلاء المعرى – اللزوميات جـ٣ ص٣٢ .

(٢) العلامة ابن حزم – الفصل فى الملل والأهواء والنحل – جـ١ ص٦٩ وبهامشه الملل والنحل ط دار الفكر .

(٣) أبو العلاء المعرى – اللزوميات جـ٤ ص١١ ص١ بيروت .

أو دفع الخصوم عنه أو إعلام الناس بنبوته ، لأنها جميعا مجرد ظنون لا تقوم للعقل على ناحية .

ب- مناقشة الشبهة :-

لئن كان العقل هو حجة الله على عباده ، وهو مناط التكليف أيضا إلا أن العقل له حدود ، ولئن استطاع العقل أن يقتحم ميدان عالم الشهادة ، ويخرج منه ظافرا بنتائج بعضها مقبول ، وبعضها مردود .

إلا أنه في عالم الغيب أعجز من أن يخوض متن بحاره ، أو يحاول السباحة على أي من شواطئه ، وبالتالي فأحكامه في مجال الغيب مرفوضة .

◈ أما لماذا ؟

◆ فلما يلي :-

(١) أن الإذعان للعقل لا يعتبر – في مجال الغيبيات مقبولا – باعتبار أن الغيب عالم بعيد عن الحواس ، وعن العقول ، ولا يمكن التعرف عليه إلا من خلال النقل المنزل المعصوم .

قال تعالى ﴿ " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا " ﴾[1] .

قال العلامة ابن كثير : هذه الآية كقوله تعالى ﴿ " ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " ﴾ وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة ، وانه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري[2] .

(٢) أن كل عقل إنساني له استعدادات ، وكذلك كل نفس بشرية ، فما يدركه عقل لا يدركه آخر ، وما يغيب عن عقل قد يحضر عند آخر ، « وليس كل عقل إنساني على استعداد ما يعقل عنه أمره ، ولا كل نفس بشرية بمثابة من يقبل عنه حكمه ، بل أوجبت منه الكريم المتعال – جل علاه – ترتيبا في العقول والنفوس واقتضت

(١) سورة الجن الآيتان ٢٦/٢٧ .

(٢) العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٤٣٣ – طبعة مكتبة التراث الإسلامي – حلب ، وراجع مفاتيح الغيب – للإمام الرازي م١٥ – جـ٣٠ ص١٦٨/١٦٩ – طبعة دار إحياء التراث العربي .

سنته تعالى أن يرفع الناس بعضهم فوق بعض درجات »[1] .

﴿ " ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " ﴾[2] .

وحينئذ لا تكون العقول متساوية ، ولا تكون النفوس متشاركة ، بل أن اختلاف النفوس ، وتخالف العقول يجعل حكمها على رفض المعجزات غاية السخف " والنكران " .

إذ كيف يتأتى للنفس الإنسانية والعقل الناقص أن يقفز أى منهما فوق الغيب ليعرف ما يخبأ فيه ، مع أنه ليس له الحق فى السباحة حوله أو النزول إليه .

(٣) إن المعجزة قد ثبتت لدى مشاهديها بالمشاهدة ، وهو أقوى طرقها ، كما أنها قد ثبتت بالتواتر على من لم يشاهدها ، وبالتالى فقد صارت من أمور الغيب الماضى الذى لا حيلة للعقل فيه ،

وإنما واجبة التسليم بما ورد فى النقل المنزل . وصح فى السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن لأن

(١) العلامة الشهرستاني - الملل والنحل جـ٣ ص٩٧ .
(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢ .

أول صفات المؤمنين أنهم ﴿ " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " ﴾[1] .

(٤) أن المعجزة تأتى من غير قادر عليها متمرس فى القيام بها . وبالتالى فهى حين تجرى على يديه يكون ذلك بجريان من الله لها ، فيثبت بها صدق النبى ، وتتأكد نبوته ، أما المشعوذ والمحتال « فإن أيا منهما إنما ينفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ، ولا يكون له بها دراية ومعرفة ، وليس هذا بحال المعجزة »[2] .

(٥) أن العلوم التى ترد عن طريق العقل تأتى فيها مسألة التراكمية . فكأن العقل فى إفرازاته العلمية لا يقدم صورة مستقلة متكاملة . وإنما يقدم أجزاء لصور تم التجميع بين بعضها . فصارت قضايا إذا جمعت المتشابهات منها ، صارت علما .

(١) سورة البقرة الآيتان ٣/٤ .

(٢) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شروح الأصول الخمسة ص٥٧٢ .

وفوق ذلك فإن تلك العلوم فى الغالب احتمالية . وليست يقينية ، بينما خبر النبوة والتصديق بالمعجزة من القضايا اليقينية ، فثبت ان حكم العقل فى رفض المعجزة لا أساس له ، وأن من يقبل عليه ويتمسك بأحكامه فى تلك الناحية لا يعتد به . ولا يكون له بين العقلاء نصيب .

ثم أن رفض المعجزة بناء على حكم العقل ينتهى بنا إلى إسقاط العقل نفسه ، فإنه قد يفترض وجود نفسه مرة ، وعدم وجودها مرات . فمن أين لنا أن نتمسك به ، ونعتبره قاعدة عامة لا يمكن التخلى عنها ، أو قانونا يجب تطبيقه فى كل الحالات .

(٦) أن أمر المعجزة يقوم على كونها « أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعرضة »[1] ، ولا يمكن أن يعارض الحس المعجزة ، وإنما الذى يعارض هو العقل ، فإذا ثبتت المعجزة فى مواجهة بعض العقول التى حضرت المعجزة ، أو وقع عليها

(١) العلامة فخر الدين الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ – تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، وبهامشه المرشد الأمين .

التحدى ، ولم تتمكن منه ، فقد ثبت الأمر على الجميع من غير مباعدة أو منازعة .

(٧) أن دلالة المعجزة على صدق النبى ليست بحسب الأدلة العقلية على مدلولات من كون العلاقة قائمة بين السبب والمسبب على الناحية العقلية ، وإنما « الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ، ولا يقدر فى العقل وقوعه غير دال عليه ، وليس كذلك سبيل المعجزات »[1] ،فإنها تأتى فأصله بين السبب والمسبب باعتبار أن العلاقة القائمة بينهما علاقة عادية يمكن تخلفها ، كما يمكن عدم التخلف ، وهى فى كل حالاتها لا تخرج عن هذا أبدا .

من ثم فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان بالمعجزات يقوم على مستند دينى ، وهذا الرأى هو الصواب ، بل أن خوارق العادات نظرا لكثرة تكرارها ومجيئها مع الأنبياء والمرسلين صارت عادة يتوقعها الناس ، فما من نبى إلا وقد خرقت له العادة ، وجاءت بين يديه المعجزة ، وقد حدث النبى قومه أن المؤثر فيها هو الله ، وأن

---

(١) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٢٢٤ – تحقيق الدكتور / محمد يوسف موسى .

ذلك التأثير الإلهى هو القاعدة باعتبار « أن المؤثر فى فعل العبد ، إنما هو قدرته التابعة لمشيئته ، ان وافقتها المشيئة الإلهية القديمة »[١] ، أما فى المعجزة فإنها فعل الله استقلال ، ولذا تنسب إلى الله تعالى وحده .

الشبهة السادسة
احتمال معارضة الخارق وفساده

أ- عرض الشبهة :-

يزعم المنكرون لخوارق العادات ، وعلى الأخص المعجزات مزاعم تقوم على مجرد الفروض التخمينية والاحتمالات منها احتمال أن يكون ما ورد من الخوارق على يد مدعى النبوة مما عورض ، وتمت المعارضة بنجاح ، ولم ينقل ذلك إلينا لشيوعه وانتشاره ، فإن الكثيرين قد ادعوا النبوة ، وان أغلبهم قد بان فساد قوله[٢] .

---

(١) العلامة إبراهيم الحلبى المزارى - اللمعة ص٥٤ - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى - مطبعة الأنوار سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

(٢) العلامة عضد الدين الايجى فى عرضه لتلك الشبهة ، فيقول : احتمال أن يكون مما يعارض إلا أنه لم ينقل إلينا - المواقف ص٣٤٦ .

أو أنه لم يبلغ من لديهم القدرة على المعارضة ، ولو بلغهم لعارضوه ، وأبانوا عن فساده ، وما دام لم يعارض ، ولم يصل من لديهم القدرة على المعارضة ، فلا يعتبر حقيقة فى الدلالة على إثبات النبوة[1] .

أو أنه بلغ من لديه القدرة على المعارضة ، لكنه تركها مواضعة منه مع مدعى النبوة ، حتى إذا ظهرت دولته وارتفعت رايته وجد لنفسه مكان فيها ، إذ ما قيمة نجاح المعارضة مع الوضع السلبى ، أو الموقف الذى لا تأتى من ورائه مصالح مؤكدة[2] .

ثم ما المانع أن يكون ذلك الخارق قد بلغ من يقدر عليه ، لكنه خاف المعارضة لبطش من يدعى النبوة ، متى كان له أنصار ، وحوله مؤيدون ، وكان القادر على المعارضة خال من نصرة الأصدقاء ، ومعاونة المحبين ،

---

(١) راجع شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ والمواقف ص٣٤٦ .

(٢) العلامة محمود بن عبدالملك الشاذلى - دراسات فى علم الكلام ص٢١٢ طبعة فاس بالمغرب ١٩٤١م ، ونفس المعنى ذكره العلامة البيضاوى والايجى والسعد .

إذ ما قيمه معارضة لا يؤمن صاحبها على نفسه ، إذ من المعروف أن الحق إذا لم تكن له قوة يستند عليها فإن وجوده يكون أمرا معدوما .

أضف إلى ما سبق أن البعض قد يستهين بالخارق . فلا يعارضه تقليلا من شأنه واستهانة به مع عدم المبالاة بما يأتى بعده ، لأن النفوس طبعت على الاهتمام بما يحقق لها المصالح . ويدفع عنها المضار ، ويحقق لها فى كثير من الحالات أمانيها المرجوة ، ولما كان أمر المعارضة لا يحقق شيئا من ذلك فقد تجاهله القادرون عليه .

أو أن كثرة الشواغل العالقة بالنفوس قد فرضت على أصحابها التمسك بها ، والاهتمام فوجدوا أن الاهتمام بها أفضل من الانشغال بغيرها ، حتى ولو كان لديه القدرة على المعارضة .

يقول العلامة الايجى فى تلك الشبهة « ربما ترك المعارضة من لديه القدرة عليها . ولكنه تركها مواضعه فى إعلاء كلمته . لينال من دولته حظا أو الخوف من المعارض أو الاستهانة بشأنها ، وعدم

المبالاة ، أو أن الشواغل غلبت عليه فاهتم بما هو أهم مع قدرته على المعارضة ، أو أن المعارضة تمت ولكن ذلك لم ينقل إلينا »[1] .

ب- مناقشة الشبهة :-

البين من عبارات القوم أنهم قد خدعوا أنفسهم وظنوا أنهم بخداعهم لأنفسهم قد أمكنهم خداع الآخرين ، بينما هم قد انخدعوا ، ولم يقع ذلك للعلماء أو المحققين الذين أبانوا عن أوجه فساد تلك الشبهة على العديد من النواح نذكر منها :-

(١) **أن احتمال المعارضة ساقط** ، لأن من عارضوا قد جاءت معارضتهم للقرآن الكريم مثلا غاية فى السخف والنكارة ، بل نزلوا إلى ضرب من التفاهة ، حتى أن أغلبهم وقع بين .

[أ] عاقل استحيى أن يتم تجربته ، فحطم قلمه وفرق صحيفته .

[ب] ماكر وجد الناس فى زمنه أعقل من أن تروج فيهم سخافاته فطوى صحفه وأخفاها إلى حين .

---

(١) العلامة العضد الايجى – المواقف ص٣٤٦ ، والعلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

[ج] طائش برز بها إلى الناس ، فكان سخرية للناظرين ، ومثلا للآخرين[1] ، وبالتالى فلو عورض النبى فى معجزته ، ونجحت المعارضة لنقلت إلى الناس جميعا ، إذ كان الخصوم من أكثر الناس حرصا على إذاعتها ونشرها ، وكيف لا ؟ وهم الذين قاتلوهم وحاربوهم بالسيف والسنان ، فلو كانت المعارضة قد تمت لهم ما كانوا بحاجة إلى المقاتلة .

يقول العلامة العضد « أن النبى إذا أتى بما يعلم بالضرورة أنه خارق للعادة ، وعجز من فى قطره على المعارض علم ضرورة صدقة »[2] ، وبالتالى تلزم حجته أهل ذلك القطر الذين عجزوا عن معارضته ، وإذا عجز أصحاب قطر واحد عن تلك المعارضة وقع التحدى على كافة الأقطار الأخرى ، باعتبار أن الناس جميعا متساوون فى قدراتهم العقلية ، فإذا ثبت عجز بعضهم عن القيام بمعارضتها رغم تحديها لهم ، فقد ثبت العجز على الجميع .

---

(١) الدكتور / محمد عبدالله دراز – النبأ العظيم ص٨٢ .

(٢) العلامة عضد الدين الايجى – المواقف ص٣٤٧ .

مثال ذلك : القــرآن الكريــم ، فإنــه المعجــزة العقليــة لسيــدنا محمد ﷺ ، وقد تحدى الله به كل الجن ، وكافة الإنـس ، وطالبـهم الإتيان بمثله ، أو بعشرة سـور مـن مثلـه ، أو بسـورة واحـدة مـن مثله ، لكنهم جميعـا عجـزوا ، باعتبـار « أن القـرآن هـو الكـلام الإلهى الموحى به إلى النبى ﷺ ، وهو جملة المكتوب فـى المصـاحف المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة - أولاها الفاتحـة ، وأخراهـا سورة الناس »[1] .

وجاء ذلك التحدى فى القرآن الكريم بحيث صار هو المعجزة العقلية ، وهو المتحدى فى نفس الوقت ، حتى يظل التحدى قائمـا فى وجه الجميع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ﷻ قال تعالى ﴿ " قل لئن اجتمعت الإنس والجــن علـى أن يـأتوا بمثـل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " ﴾[2] .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يسـتجيبوا

(١) العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير جـ١ ص٦٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون " ﴾[1] .

﴿ وقال أيضا ﴿ " أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين " ﴾[2] .

﴿ فلم يتمكن الجميع ، ولن يتمكن أحد من معارضة القرآن الكريم ويتحقق له شيء من النجاح أبدا إن شاء الله رب العالمين لقوله تعالى ﴿ " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[3] .

يقول العلامة ابن كثير « أنه تعالى هو الذى أنزل على رسوله ﷺ الذكر ، وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل »[4] .

(٢) أن احتمال ترك المعارضة مع القدرة عليها لا يقول به صاحب عقل لأن التاريخ أنبأنا أنه ما من نبى إلا وحاول قومه مغالبته حتى فى

(١) سورة هود الآيتان ١٣/١٤ .

(٢) سورة يونس الآية ٣٨ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

(٤) ابن كثير جـ٢ ص٥٤٧ .

معجزتـه « فلـو كـان الأمـر مجـرد تركـهم المعارضـة لذاتـها مـع قدرتهم عليها لكان قولا غير مقبـول ، أمـا تركـه لهـا مـع القـدرة عليـها علـى سـبيل المواضعـة فـى إعـلاء كلمـة النبـى فذلـك شــأن البلهاء »[1] ، الذين يعتبرون الإيجابيات سلبيات .

ثم أن العاقل يعرف أن الخصومة تدفع صاحبها إلى اسـتعمال كل أسلحته التى فى حوزتـه ، وربمـا استجلب أسـحلة الآخريـن حتى يحقق لنفسه النصرة ولخصمه الهزيمة ، فلو كان بإمكانه أن يعارض بحيث يعجز النبى ما تركها أبدا مهما كانت الاغراءات .

وكيف تأخذنا الأوهام بعيدا والسـنة المطـهرة الصحيحـة قـد حدثت عن أساطين قريــش الذيـن حـاولوا صـرف الرسـول الكريـم سيدنا محمد ﷺ عن دعوته .

وبذلوا فى سبيل الاغـراءات كـل مـا طـافت بـه خيالاتـهم . فكان رده القاطع – صلى الله وسلم عليهم جميعا – رسـالة موجهـة منها التحدى القائم والرغبة المتمكنة ، والاعتماد على الخالق جـل

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٣١٩ – رسالة ماجستير مخطوطة بكلية البنات جامعة عين شمس ١٩٩٢م .

علاه ، فيقول ﷺ لعمه أبـى طـالب « والله لـو وضعـوا الشـمس فـى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمـر مـا تركتـه حتـى يظهره الله أو أهلك دونه »[1] .

إذا فالمعارضة لو كان صاحبها متمكنا منها ما أنتظر لحظة . وما أخفى قليلا منها أو كثيرا ، بل كانت الرغبة فى الإبـلاغ أعلـى ويبدو لى أن أولئك كانوا مـن « أصحـاب الفلسـفة والجـدل العقيـم الذين لن يصلوا إلى حقيقة أبدا ، لأنهم بجدلهم العقيم وسفسطتهم الجاحدة يـهدمون بمنطقـهم كـل مقولـة لأنفسـهم ، كمـا يـهدمون لغيرهم ، وإن كانت مقولات الآخرين حقا »[2] .

(٣) أما أن يكون المتحدى قادرا على المعارضة ، ولكنه تركها خوفـا أو استهانة ، أو عدم مبالاة « فما هو إلا من مطروح الفكـر السـاذج ، لأن التحدى وقع فعلا ، وما يـزال قائمـا ، فـهل يـترك مـن لديـه القدرة على المعارضة الموقـف خاليـا ، وينسـحب رغـم أن التحـدى

(١) العلامة السهيلى – الروض الأنف ص٣١٢ ، ورجع كذلك سيرة النبى محمد ﷺ للعلامـة ابن هشام ، وتاريخ العرب وظهور الإسلام – د/ محمود زيادة ، وكذلك أعلام الإسـلام للعلامة الذهبى – جـ١ – السيرة النبوية .

(٢) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – رهين المحبسين أبو العلاء المعرى ص٦٠ .

يقض مضجعة ويشده من أذنيه ، والعصابة التى تؤازره قوية متمكنة تستطيع حمايته »[1] .

(٤) أخبرنا القرآن الكريم أن خصوم الأنبياء فى المراحل الأولى لكل دعوة كانوا هم الأشداء الأقوياء بدليل أنهم كانوا يعذبون أتباع الأنبياء ، وربما امتد التعذيب إلى ذات النبى ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " ﴾[2] ، وقالوا ﴿ " قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين " ﴾[3] ، وقالوا ﴿ " أنؤمن لك واتبعك الأ رذلون " ﴾[4] .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى دلت على أن خصوم الأنبياء فى مراحل الدعوة الأولى كانوا دائما من الأقوياء ، وأنهم كم عذبوا الرسل والأنبياء ، وكم وصفوا أتباعهم بما يعف عنه أهل الحياء .

(١) الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٣١٩ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١١٦ .
(٣) سورة الشعراء الآية ١٦٧ .
(٤) سورة الشعراء الآية ١١١.

فلو كان هناك من يقدر على المعارضة العقلية . ما انتظر لحظة ، ولكانت السواعد القوية فرضت نفسها على الآخرين حماية لصاحبهم وإخافة لغيره ، حتى لا يناله بسوء .

(٥) أنه ما من نبى إلا وجاء يتعبد الناس لله رب العالمين ، فكان هو ملاذ الخائفين ، وأمن المفزعين ، وآمال أهل الصلاح القائمين ، ومن ثم فلن يكون لديه أمر العنف أبدا . وآية ذلك : أن سيدنا محمد ﷺ مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة يلاقى الأذى بكل أنواعه ، ويتحمل هو وأصحابه العنت بكافة أشكاله . ولم يدفع ظلما إلا بالحسنى ، لقوله تعالى :

﴿ " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " ﴾[1] .

(٦) لو أن المعارضة نجحت لنقلت بدليل أن أخبار الشرذمة التى حاولت معارضة القرآن الكريم قد نقلت إلينا رغم فشلها الزريع ، نذكر منها ما صدر عن مسليمة الكذاب وسجاح الكاهنة :

(١) سورة النحل الآية ٢٥ .

١) مسيلمة الكذاب :-

هو مسيلمة بن حبيب ، تنبأ فى حنيفة باليمامة فى زمن رسول الله ﷺ وتبعه جمع من أهل اليمامة ، ومن حولهم من أهل البادية ، وصل به غروره إلى مفاوضته الرسول ﷺ فى مشاركته له فى الجزيرة العربية .

بحيث يختص مسيلمة بجنوب الجزيرة العربية ، بينما يختص النبى ﷺ بشمالها ، ولكن الرسول ﷺ أبى هذا التصرف الغريب والسلوك الشاذ من مسيلمة .

ولكن مسيلمة لم ييأس ،فقد كان يطمع فى الملك ، كما هى عادة الكذابين ، فطلب من الرسول ﷺ أن يجعل له أمر الجزيرة من بعده ، لكن الرسول ﷺ رفض ذلك أيضا ، وعزم على حرب مسيلمة والمرتدين معه .

وذكر صاحب مفاتيح الغيب أن مسيلمة الكذاب صاحبة اليمامة والأسود العنسى صاحب صنعاء كانا يدعيان النبوة والرسالة ، من عند الله على سبيل الكذب والافتراء ، وكان مسيلمة يقول : محمد رسول قريش ، وانا رسول بنى حنيفة .

وذكر أصحاب السير نسبه ، فقالوا هو مسيلمه بن تمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن حنان بن ذهل بن حنيفة ، وأنه كان نحيفا ضئيل الجسم ، وأنه ولد فى منطقة البجلية قرب العيينة بوادى حلف فى نجد ، وهى تابعة جغرافيا لليمامة ، ولذا عرف باسم صاحب اليمامة .

وأيضا ترهات مسيلمة بجوار أنه أراد أن يشارك محمد فى الأمر أن ادعى أن الوحى ينزل عليه ، ومما ادعاه كذبا أنه أنزلت عليه سورة الفيل تضاهى سورة الفيل القرآنية ، فلما طلبوا إليه أن يقرأ ما زعمه قال : « الفيل ما الفيل له ذنب وثيل ، وخرطوم طويل إذا تحرك مسرعا على أحد الجنبين يميل » ، فضح منه الحاضرون ، وسخروا منه ، ثم قالوا هذا عن الفيل الذكر ، فماذا عن أنثاه ؟ فلم يتمكن من الجواب ، بل زادت السخرية منه .

وأيضا يقول الشيخ الزرقانى : يذكر التاريخ أن مسيلمة الكذاب زعم أنه أوحى إليه بكلام كالقرآن ، ثم طلع على الناس بهذا الهذر حين قال : « إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر » .

وبهذا السخف يقول « والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا » وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة فى قليل ولا كثير ، وأين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان ؟ وأين هذه الكلمات السوقية الركيكة من ألفاظ القرآن الكريمة الرفيعة ومعانيه العالية ؟

كما حكى أن مسيلمة الكذاب زعم لأصحابه أنه نزلت عليه سورة " إنا أعطيناك " ، فطلبوا منه قراءة ما زعمه منزلا ، فقال : « إنا أعطيناك الوحواح فصلى إلى ربك وارتاح إن شانئك هو الخروف النطاح » .

فقالوا له هذا شأن الخروف النطاح ، فما شأن الشاة المنكاح ، أنسى ربك أم سها وارتاح ؟ فعجز عن الرد وعرف أن القوم قد باله الصبر ، وبات فى أعناقهم إهماله والرد ... الخ ما ادعاه مسيلمة ، من ترهات وسخافات ، لم تنجح ، وبائت بالفشل الذريع ، ولم يستطيع معارضة القرآن الكريم ، ولن يستطيع أبدا[1] .

(١) راجع الإمام الرازى – مفاتيح الغيب جـ٢ ص٤٣٦/٤٣٧ ، وأيضا الدكتور / محمد متولى إدريس – صفوة البيان فى علوم القرآن ص١٧٦ط٢ سنة ١٤١٢هـ ، وسيرة ابن هشام جـ٤ ص١٤٦ ، والعلامة الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل -- دار المعارف .

ومن المعارضات التى باءت بالفشل الذريع أيضا :-

٢) سجاح بنت الحارث التميمية :-

وهى عربية تنصرت ثم تنبأت فى أخوالها من بنى تغلب أثناء خلافة الصديق ، وقد وقعت فى هوى مسيلمة فتزوجها ، ثم أسلمت وحسن إسلامها ، ورجعت عن دعواها النبوة . وكانت فى أثناء زعمها النبوة قد ذكرت أن قرأنا انزل عليها فسألوها عنه فقالت :

« عليكم باليمامة دفوا إليها دفيف الحمامة ، فإنها غروة صرامة ، لا تلحقكم بعدها ملامة » .

ويقال : أن حوارا جرى بينها وبين مسيلمة مؤداه أن كلا منهما ذكر فى الأمر ما زعمه ، منزلا فكان هرجا وسخريه ، حيث أن مسيلمة قال لها : أنزل على قرآن فيه : ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين ضعاف وحشا . قالت له فما بعد ذلك ؟ قال : أوحى الى أن الله خلق النساء أفواجا . وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن إيلاجا ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا فينجبن لنا سخالا نعاجا ، قالت له : أشهد أنك نبى[1] .

---

(١) راجع الدكتور / محمد متولى إدريس – صفوة البيان فى علوم القرآن ص١٧٦/١٧٨ .

٣) طليحة بن خويلد الأسدي :

ظهر في بني أسد ، وكان من شجعانهم ، وقدم مع وفد بني أسد بن خزيمة سنة تسع للهجرة ، وقد زعم أنه أنزلت عليه آيات تعارض القرآن الكريم منها قوله : « إن الله لا يضع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئا فاذكروا الله قياما فإن الرغوة فوق الصريح ،

وقوله : والحمام واليمام والسرد الصوام قد صمنا قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام »[1] .

٤) أبو الطيب المتنبي :

أدعى النبوة في مقتبل شبابه ، ومال إليه جماعة من بني كلب في بادية السماوة بين الكوفة والشام ، وقد زعم أنه أوحى إليه بقرآن كالذي أنزل على سيدنا محمد فسألوه الإعلان عن ذلك الذي أنزل فقال :

---

(١) راجع رسالتنا فى الدكتوراة – فكر الإمام الرازى فى النبوات من خلال تفسيره مفاتيح الغيب ، ومدى توظيفه فى العصر الحديث ص٤٠٩ – رسالة دكتوراه مخطوطة بأصول الدين القاهرة ١٩٩٢م .

« والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الظالم لفى أخطار ، أمض على سننك ، واقف أثر من قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه ، وضل عن سبيله » .

ورغم أن المتنبى كان صاحب بلاغة وفصاحة إلا أن ما زعمه ارتد فى وجهه ، وبان أنها مجرد أسماع خالية من المضامين ، بجانب فقدانها العذوبة والرواء . وفوق ذلك ففيها الاضطراب من كل ناحية .

وقد فطن الرجل لما فعل فعاد إلى سابق عهده بالإسلام معلنا خروجه مما كان فيه ، وتوبته مما حاول القيام به .

يتضح لنا مما سلف من أحوال المتنبئين :-

(١) وقوع محاولات لمعارضة القرآن الكريم ، وقد انتهت كلها بالفشل .

(٢) وقوع مزاعم وادعاءات نبوءات ، وقد أعلنت عن فشل نفسها وانتهت بتدمير أصحابها .

(٣) سلامة القرآن الكريم عن كافة ألوان المعارضة والمطاعن ، وأن سيدنا محمد ﷺ هو النبى الخاتم .

(٤) ثبوت أن القرآن الكريم وحده هو كلام الله ، وأنه المنزل على قلب سيدنا رسول الله ﷺ واستحالة إتيان أحد من البشر بشيء مثله . **وسيظل هذا قائما إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها**[١] .

وتلك المحاولات الفاشلة قد نقلت إلينا يقول العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز « أن في التاريخ لعبرا تؤثر عن أناس حاولوا معارضة القرآن الكريم ، فجاءوا بكلام لا يشبه القرآن ، ولا يشبه كلام أنفسهم ، بل نزلوا إلى ضرب من السخف والتفاهة بادعوراه ، باق عارة وشفارة »[٢] .

من ذلك ما نقل عن مسيلمة الكذاب : « الفيل ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل إذا تحرك مسرعا على أحد الجانبين يميل »[٣] .

وما نقل عن سجاح أن مسيلمة قال لها « ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين ضفاف وحشا ، قالت له فما بعد ذلك ؟ قال لها أوحى الى أن الله خلق النساء أفواجا ، وجعل

(١) راجع الأستاذ الدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي – الغزاليات في السمعات ١٤١٩/١٩٩٩م ص٥٤٨ .

(٢) الدكتور / محمد عبدالله دراز – النبأ العظيم ص٨٢ .

(٣) الشيخ / حسن محمود سالم – الأدعياء والتاريخ ص١٣٨ – مطبعة الطور ١٩٣٨م .

الرجال لهن أزواجا فتولج فيهم إيلاجا ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا فينجبن لنا سخالا ونعاجا ، قالت له : أشهد أنك نبى[1] .

مما مر ذكره تبين لنا ان شبهة المنكرين تلك قامت على مجرد احتمالات ساقطة ، تعبر عن خيالات طافت بعقول مرضى أجدر بأصحابهم أن ينقلوهم إلى المصحات العقلية ، لأن الذى يتصرف فى حدود ما لا يعرف لا يكون إلا فاقد الأهلية ، وتركه بين الناس خطر عليه وعليهم .

الشبهة السابعة
نفى تصديق النبى بالمعجزة

أ- عرض الشبهة :

يذهب منكرو المعجزات إلى أن الأمر الخارق إذا جاء مع النبى لا يلزم أن يكون الغرض منه تصديق النبى فى دعواه النبوة .

◈ أما لماذا ؟

---

(١) راجع الدكتور / محمد متولى إدريس – صفوة البيان فى علوم القرآن ص١٧٦/١٧٧ .

فلانتفاء الغرضية فى أفعال الله تعالي ، لأن القاعدة هى أن أفعــال الله تعالى غير معللة ، فلو كانت معللة لكان ذلك نقصا يستحيل وصـف البارى جل علاه به .

ثم ما المانع أن يكون الخارق لثبوت غرض أخر غير غرض النبـوة كأن يكون لطفا من ألطاف الله ، بمكلف مـن المكلفين ، أو يـأتى إجابـة لدعوة ذلك المدعى ، والفرق بين الدعوة وإجابتها يختلف تمامـا عـن أن يدخل الأمر فى حيز المعجزة .

حتى إذا فرض أنه معجزة فما المانع أن يكون معجزة لنبـى سـبق أو معجزة لنبى معاصر بخلاف من جرت عليــه ، أو أن تكـون معجـزة لنبـى سيأتى ، ولا تعلـم النفـوس بـه ، وإنمـا يكـون الأمـر فيــها - المعجزة - التهيأة لمن سيأتى بعده .

أضف إلي ما سبق : أن الأمر الخارق قـد يكـون للعبـد ابتـلاء حتـى يتحقق له شيء من الثـواب ، أو يكـون لدفعـة حتـى يفكـر وينظـر ويجتهد كالحال بالنسبة للمتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ، ومع هذا تحاول العقول التعرف عليه والوصول إليه .

أو أن يكون ظهور ذلك الخارق على يد مدعى النبوة ليس من قبيل تصديقه فى دعواه النبوة ، وإنما من قبيل إضلاله ، حتى يكون هو نفسه إضلالا للخلق ، فإما أن يهتدوا إلى الصواب ، وإما أن يسقطوا فى دائرة التقصير والعقاب .

يقول العلامة السعد على لسانهم « لا نسلم أن يكون الغرض من الخارق تصديق النبى فى دعواه . أما لانتفاء الغرض فى فعله تعالى . أو ثبوت غرض آخر ، مثل أن يكون لطفا بمكلف ، أو إجابة لدعوته أو معجزة لنبى أخر ، أو ابتلاء للعبد ، حتى ينال الثواب بالتوقف عن موجبه أو للنظر والاجتهاد فى دفعه ، كما فى إنزال المتشابه أو إضلالا للخلق »[1] .

ثم أن الغرضية المنفية عن أفعاله تعالى لا تقتصر على حد كما لم يقع فيها الاستثناء . وبالتالى فمجيء المعجزات على ناحية الاستثناء يمثل غرضية منفية . وإذا انتفى الغرض انتفى أيضا الذى جاء له . باعتبار أن القاعدة هى ما دام الأمر فى الاستثناء فإنه لا يكون قاعدة أبدا .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

ب- مناقشة الشبهة :

لعل القارئ الكريم قد لاحظ إلحاح منكرى المعجزات على الاحتمالات ، ومحاولاتهم المستمرة صنع شبهات ، وأنهم كلما أقاموا شبهة سقطت أسهمها ونقضت أصولها .

ومع ذلك فانا نقدم فى مناقشاتها ما يلى :-

(١) **أن انتفاء الغرض فى فعله تعالى عبارة خاطئة** ، لأن أفعال الله تعالى منها الحكمة ، ومن أوصافه تعالى الحكيم ، بل ان من أدلة العلماء على إثبات وجود الله تعالى دليل العناية ، كما أن منها دليل الخلق والاختراع ، وكذلك دليل الانتظام ، وكلها أدلة عقلية .

إذا أفعال الله تعالى كلها فيها الحكمة ، وليست خالية أبدا عن الحكمة ، وإلا كيف يكون حكيما ، وفعله خال من الحكمة !! .

وإنما الصواب أن أفعاله تعالى لا تخلوا عن حكمة راجعة إلى المخلوقين أنفسهم ، لا إلى الخالق جل علاه ، لأنه « ينبغى أن يستقر فى الأذهان أن الله تعالى نص على تكريم الإنسان فى قوله

تعـالى ﴿ " ولقـد كرمنـا بنـى آدم وحملنـاهم فى البـر والبحر ... " ﴾[1] .

ومن تكريم الله للإنسان تسخير كل ما فى الكـون لـه ، حتـى يحترم الإنسان عقله وقـواه ، فـلا يستعملها إلا فيما خلقت مـن أجلـه ، وهـو معرفـة الله تعـالى وتوحيـده ، والتوجـه إليـه وحـده بالشكر والثناء ، وعبادته التى لم يخلق إلا مأمورا بها »[2] .

قال تعالى ﴿ "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون" ﴾[3] .

والدارس للقضايا الفكرية يجد مفكرى المسلمين فـى مسألة الغرضية فـى أفعال الله تعالى فريقين :-

الفريق الأول : أهل الظاهر :

وهم الذين يذهبون على أن أفعال الله تعالى معللـة ، بأغراضـها ، مستدلين بظواهر النصوص الدينية ، مثل :

(١) سورة الإسراء الآية

(٢) مجلة منبر الإسلام – العدد ٢ ص٢٧ لسنة (٤١/صفر ١٤٠٣هـ – ديسمبر ١٩٨٢م)

(٣) سورة الذاريات – الآيتان ٥٦/٥٧ .

ﷻ قوله تعالى ﴿ "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " ﴾[1] ، فقد جعل الغرض من خلقهما عبادته سبحانه وتعالى .

ﷻ وقال تعالى ﴿ "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون" ﴾[2] أى خلقها لغرض الركوب واستعمالها فى الزينة .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا" ﴾[3] ، أى خلقهما من أجل هذه الأغراض[4] .

ومن ثم فإن « أفعال الله تعالى معللة بعلة قائمة فى المخلوقات نفسها .

الفريق الثانى : أهل التأويل :-

وهم الذين يذهبون إلى أن أفعال الله تعالى معللة ، لكن بعلل غير راجعة للعقل الإلهى من حيث يقصد به التكميل ، أو تحقيق

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦

(٢) سورة النحل الآية ٨ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٢ .

(٤) الدكتور محى الدين الصافى – محاضرات فى السمعيات ص٣٤ .

السعادة ، فيذهبون – بناء على ذلك – فى تفسير قولـه تعـالى ﴿ " ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " ﴾

بمعنى مستعدين لعبادته متمكنـين منـها أتم استعداد . وأكمـل تمكن ، فالموفقون يعبدونه ، والمخذولون يعرضون عن عبادته ، ويرشح لهذا المعنى قوله تعالى ﴿ "ما أريد منهم من رزق وما أريـد أن يطعمـون " ﴾[1] »[2]، ففيه دفع العلـة عن أفعـال الله تعـالى . وإسقاط الغـرض أيضا .

ونحن نرى : أن كلا الرأيين فيه صواب . فالأولون أخـذوا أنفسـهم إلى جانب النصـوص الدينيـة ، وفـى نفس الوقت أسقطوا مفـهوم الاحتياج فى الفعل إلى الله تعالى .

كما أن أصحاب التأويل غلب عليهم التنزيه ، متصورين أن الرأى الأول يوقع فى التجسيد . أو احتيـاج البـارى إلى مـا يكمـل ذاتـه جـل علاه ، ونعم ما فعل الفريقان .

(١) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

(٢) الدكتور/ محمد أبو النور الحديدى – عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجة إليـهم ص١١ مطبعة الأمانة.

وإن كنت أتمنى أن يلتقيا فى طريق واحد ، باعتبار أن المفردات يمكن تطويعها إلى معان تكون قريبة المأخذ ، وفى نفس الوقت تؤدى إلى تنزيه البارى والتمسك بظاهر النص أيضا ، وما ذلك على الله بعزيز .

الشبهة الثامنة
إنكار العلم بها

أ- عرض الشبهة

ذكر العلماء أن منكرى المعجزات يذهبون إلى أنها لا يمكن العلم بها باعتبار أن المعجزة هى اللسان الذى يصدق النبى فى دعواه . فإذا لم يصدق النبى فى دعواه فلا تكون له بين القوم منزلة ، وإنما سيكون من المدعين الكذبة وليس من أهل الصدق .

ثم أن المعجزة يتوقف أمرها على تصديق النبى ، وتصديق النبى يتوقف على تأييد الله النبى بالمعجزة ، فكأن كلا منهما قد توقف على الأخر ، بمعنى أن إثبات النبوة يتوقف على حصول المعجزة ، وحصول المعجزة متوقف على تصديق النبى . فيلزم الدور .

يقول العلامة السعد : « المعجزة بمنزلة صريح القول من الله تعالى بأن المدعى صادق ، فهو لا يوجب صدقه ، إلا بعد استحالة الكذب فى أخبار الله تعالى . ولا سبيل إلى ذلك بدليل السمع للزوم الدور »[1] .

بمعنى أن صدق النبى واستحالة الكذب فى أخبار الله تعالى يتوقف كل منهما على الآخر . ولا يثبت أحدهما إلا بالأخر . فلزم بذلك الدور الواضح المصرح به الذى يعرف بأنه « توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح ، أو يتوقف الشيء على ما يتوقف عليه بمراتب ، ويسمى الدور المضمر »[2] .

ولا شك أن الدور ساقط ، سواء كان مصرحا به ظاهرا . أو كان خفيا مضمرا ، على ما هو وارد فى مؤلفات علماء البحث والمناظرة ، وكذلك علماء المنطق . أما كيف يمكن تطبيق ذلك هنا ؟

(١) العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجانى - التعريفات - باب الدال ص٩٤ - ط الحلبى .

فهو اعتبار ورود المعجزة من الله تعالى على يد مدعى النبوة بمنزلة صريح القول من الله ، بأن هذا عبد أنبأته[1] .

ولما كان القول النازل من الله تعالى خبر ، فقد توقف التصديق به على المعجزة ، وهى الأخرى فى منزلة القول ، فقد توقف القول على نفسه ، وهو مما يعد دورا .

بناء على هذا يسقط دليل السمع ، فلم يصح العلم بالمعجزة التى هى الشاهد الوحيد على تصديق خبر النبوة بطريق السمع .

ثم أن عدم صدق النبى بالمعجزة عن طريق العقل باعتبار أن العلم بها لا يتم فقائم على دليل عقلى مؤداه « أن الكذب فعل قبيح ، وهو على الله تعالى مستحيل ، وثبوت المقدمتين - الكذب قبيح ، وهو على الله مستحيل - بغير دليل السمع فى حيز المنع »[2] ، الذى هو « طلب الدليل على مقدمة معينة ، ويسمى مناقضة ، كما يسمى منعا ، وكذلك يسمى نقضا تفصيلا »[3] .

---

(١) الأستاذ / محمود نصر الدين عبدالباقى - دراسات فى علم الكلام ص١٨٥ - ط الثانية ١٩٤٧م.

(٢)العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

(٣) العلامة السيد الشريف الجرجانى - الرسالة الشريفة فى آداب البحث والمناظرة ص٣٥ - تحقيق الدكتور / على مصطفى الغرابى - ط صبيح ١٣٦٩هـ/١٤٤٩م

وما دام الأمر قد دخل حيز المنع فلا شك أنه بحاجة إلى طلب دليل عقلى على أن الكذب قبيح مثلا ، وهذا الدليل العقلى لا يتأتى إلا عن طريق العقل نفسه ، وهو المقدمة الأولى .

أو عن طريق طلب دليل على المقدمة الثانية ، وهى الكذب على الله مستحيل ، مع الأخذ بالاعتبار أن يكون الدليل من جهة العقل ، والعقل وحده لن يتمكن من الإتيان به فعاد الأمر فى النهاية إلى دليل السمع .

والسمع لا يثبت إلا بالمعجزة ، والمعجزة لا تثبت إلا بالسمع ، فانقضى الأمر وتم إنكار المعجزة .

ب- مناقشة الشبهة

لعل منكرى المعجزات قد ألهب الجدل ظهورهم ، وراحت السفسطة تنتشر بينهم حتى صار الكل جدلا وسفسطة ، ومثل ذلك لا ينطلى على باحث منصف ، أو مدقق تحدوه الرغبة فى الوصول للحق .

◈ أما لماذا ؟

● **فلأن العقيدة الإسلامية صافية** ، ليس فيها ما يدعو إلى مثل تلك التمحلات التي يحاول أصحابها التقليل من أمر المعجزات .

● يقول الشيخ البغدادي :

عقيدة ذات سلام واحدة ∴ هي التي لها النصوص شاهدة

ما جاءهم في محكم الكتاب ∴ وسنة الهادي إلى الصواب

من الصفات واضحا معناه ∴ واجب الاعتقاد إلى سواه

وما أتاهم فيهما من مشكل ∴ اعتقدوا تنزيه مولانا العلي (١)

ولما كانت العقيدة الإسلامية صافية ، والنصوص القرآنية قد أثبتت المعجزات الحسية والعقلية ، وكذلك جاء في صحيح السنة النبوية ، فإن الطاعن عليها ، المنكر لها ، لا يمكن قبول رأيه ، بل رفضه أولى . وعدم النظر إليه أحكم وأسلم .

---

(١) الشيخ منصور محمد محمد عويس – ابن تيمية ليس سلفيا – ص١٣ ط أولى – دار النهضة العربية ١٩٧٠م .

(٢) **أن الاحتمالات والتجويزات العقلية لا تنافى العلوم العادية الضرورية القطعية** ، فنحن نقطع بحصول العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة من غير التفات إلى ما ذكره المنكرون من الاحتمالات لا بالنفى . ولا بالإثبات[١] .

(٣) **أن هذه المحالات المذكورة قامت على جانب العقل** ، وهى فى ذات الوقت مكمن ضلالاته . لأن الله تعالى يستحيل عليه الكذب . فإذا أرسل رسولا فهو صادق ، لأن الله أرسله ، قال تعالى ﴿ " ومن أصدق من الله حديثا " ﴾[٢] .

ثم أن تصديق الله للنبى بالمعجزة يقطع كل شبهة يمكن أن ترد ، وكيف لا والله تعالى فى القرآن الكريم قال ﴿ " ومن أصدق من الله قيلا " ﴾[٣] .

(٤) **أن تلك الافتراضات العقلية ضعيفة** ، وفيها التهافت ظاهر . وبالتالى فهى لا تمنع العلم الضرورى الذى يحصل فى نفس النبى

---

(١) العلامة سعد الدين التفتازانى جـ٢ ص١٣٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٨٧ .

(٣) سورة النساء الآية ١٢٢ .

بعد ظهور المعجزة على يديه ، كما أنها لا تمنع العلم الذى يخلقه الله تعالى فى نفس من شاهدوا المعجزة ، فيؤمنوا ويصدقوا من غير حاجة إلى أمر آخر ، وما ذلك على الله بعزيز .

وكيف لا ؟ وقد أنبأنا أهل الأخبار أن الصديق ﷺ لما بلغه نبأ الإسراء والمعراج ، وسأله القوم الكافرون عن رأيه ، فقال : أنى لأصدقه فى أكبر من هذا ، ولم يحدث لديه شيء من التوجس أو الخوف ، فضلا عن أن يكون قد حدث له شيء من التردد أو الإنكار[1] .

(٥) **أنه لو سلم بقبول تلك الافتراضات العقلية الواهية** ، فإن ذلك لن يقف عند حد بعينه ، وإنما سيمتد حتى يهدم كل يقين ، ويقتلع جذور أى فكر صحيح ، وحينئذ لا يبقى فى الناس إلا الجدل ، والأدلة الهابطة والسوفسطائية التى لا يأتى من ورائها خير أبدا ، باعتبار أن المعجزة حين تجيء يتحقق معها الإعجاز ،

(١) راجع فى هذا الشأن عبقرية الصديق ، الخلفاء الراشدون للدكتور عبدالفتاح شحاته .

« لأنها فعل من أفعال الله تعالى ، نازل منزلة قوله لمدعى النبوة صدقت »[1] .

(٦) **أن كثرة الافتراضات قد صاحبتها كثرة فى الاحتمالات** ، وذلك موقع فى الدهشة ، لأنها فى جملتها لا تقوم على منطق صحيح . كما لا يوجد فيها عقل سليم .

ومن أبرز ما يمكن الوقوف عليه هو أن الأنبياء والمرسلين حين أكرمهم الله بالمعجزات ، التف الناس إليهم ، فمن صدق بالمعجزة أيقن أنها دليل على صدق الرسول ، ولم يلتفت إلى تلك الافتراءات ، كما لم ينصت إلى مثل تلك الاحتمالات التى إن دلت فإنما تدل على أنها من بقايا الفكر المتخلف والمذاهب المادية الهدامة ، والجدلية التى لا يرجى من ورائها خير .

(٧) **أن علماء المسلمين حين ذكروا المعجزة وقدموا لها تعريفا راعوا فيه** أن يكون جامعا مانعا ، وبناء عليه فقد جزئيات التعريف ناقضة ، لكل تلك الشبهات دافعة لكافة الاحتمالات مبينة أن فكر

(١) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ص٢٦١ – تحقيق أسعد تميم – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت .

أهل الإسلام تميز بالجدة والابتكار بجانب ما تميز بـه مـن الدقـة وسلامة الاختيار .

وبهذا قد بان لنا أن منكرى المعجزات لا تقف شبهاتهم على دليـل صحيح ، كما لا تنهض مع قول مقبول ، والأولى بها أن تهمل .

الشبه التاسعة : رفض العلم لها

أ- عرض الشبهة :

يقف منكرو المعجزات على ناحية العلم المادى زاعمين أنه ينفـى المعجزات ، بل ويعتبرون أن الأدلة البرهانية التى يقف عليها القانون العلمى تنتهى إلى أن القول بالمعجزات تعانده الفروض العلمية ، التـى تعتمد على الملاحظة والتجربة ، ثم إسقاط الفروض ، وإبقـاء الأقـوى . حتى يصير هو محل القبول .

وبناء عليه : فـإن العلـم المـادى يرفـض المعجـزة ، لأنـه لا يمكـن التجريب عليها ، كما أنه لا يمكن ملاحظتـها فـى معمـل علمـى . بحيـث تنتظـر كمـا تنتظـر النتيجـة العلميـة التـى هـى وليـدة التجربة[1] .

---

(١) الشيخ مصطفى صبرى – موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبـادة المرسـلين جـ١ ص٣٧ .

كما أن القواعد العلمية تقرر وجود علاقة قائمة بين العلة والمعلول بين السبب والمسبب . وتسمى فى الأولى : قواعد العلة . وتسمى فى الثانية : قانون السببية .

ومن المعروف أن قانون السببية يحتم وجود علاقة بين السبب والمسبب ، وان تلك العلاقة لا تنفصل عقلا[1] ، وما دام الأمر كذلك فإنه لا يمكن أن ينفتح الباب أو يقع فيه الاستثناء .

أجل : أن القوانين العلمية فى الوقت الحاضر هى السائدة ، وسيطرتها فى كافة العلوم والمعارف ، لا يمكن إنكارها . كما أن كل تقدم علمى يصاحبه ضرورة العلم المادى الذى تحكمه التجربة والملاحظة ، ولا يوجد فى تلك القوانين ما يسمى بالاستثناء بحيث يكون فرضا علميا مقبولا[2] .

أضف إلى ما سبق : أنه إذا كان العقل الإنسانى فى الماضى قد آمن بوجود المعجزات بناء على شواهد نظرية ، أقام قواعده عليها ،

(١) الدكتور / إبراهيم محمد عبدالمقصود – قانون السببية وأثره فى العلم الحديث ص١١١ – طبعه أولى – دار المنار ١٩٣٧م .

(٢) بمعنى أن الاستثناء يعتبر أمرا شاذا لا يقاس عليه ، ولا يعطى حكما عاما . كما لا تقبل قضاياه فى المسائل الكلية .

فإن ذلك لا ينطلى على عقلية اليوم المفكرة التى استطاعت أن تجتاز الفضاء ، وتركب متن القمر ، وتغوص فى أعماق البحار[1] .

ثم أن القول بوجود معجزات فى الماضى ينكره العلم فى الحاضر ، وإلا فأين هى المعجزات اليوم ؟ أو بعبارة أخرى : لم لم تقع معجزات اليوم حتى نصدق بأن هناك معجزات قد حدثت فى الماضى ؟

وبناء عليه : فإن القول بوقوع معجزات ، إنما هو قول عار عن الأسانيد العلمية ، مردود على قاعدتها[2] .

فى نفس الوقت ، فإن القوانين العلمية المعمول بها كالحتمية ، والسببية والعلية والتلازم ، وغيرها من قوانين بقاء المادة ، وبقاء الطاقة ، وعدم فناء المادة ، إلى غير ذلك من القوانين العلمية . إنما تفرض على العقل فرض عدم قبول فكرة وقوع معجزات ، بل أن القول بوجود معجزات للأنبياء ، أمر مستحيل على لغة العلم وقوانينه .

---

(١) الأستاذ / يوسف ملاك – العلم والخوارق النظرية ص٣٧ – ط أولى ١٩٣١م .

(٢) هذا الفرض يردد دائما الجدليون وأصحاب الفكر المادى – راجع خرافة الميتافيزيقا للدكتور / زكى نجيب محمود ، والذى يعلن أنه مؤمن بالعلم كافر بكل ما سواه ، وراجع كذلك المنطق الوضعى له أيضا ط٥ ص٧ ، حيث يقرر ما سبق ذكره مع الاختلاف فى العبارة .

بـ- مناقشة الشبهة :

غير بعيد على أهل الإلحاد أن يلجوا فى مسائل الدين كل لجج ، وأن ينكروا منه كل شيء . ولم لا وهم الذين ينكرون الدين نفسه . ويعلنون أنهم علمانيون ، أو أن الدين هو المصلحة القائمة فى النتائج العلمية التى تقدم نتائج مادية .

✍ **ونحن نحاول مناقشة جزئيات تلك الشبهة على النحو التالي :-**

(١) **أن المعجزة فعل إلهى فوق طاقة القوانين البشرية**[1] ، وبالتالى فلا يمكن الحكم عليه بالقوانين البشرية لما هو معروف من أن الأدنى لا يحكم على الأعلى ، أو أن الأقل لا يكون سلطانا على الأكثر . ومن هذه الناحية يثبت ضرورة الإيمان بوقوع المعجزات .

(٢) **أن قانون السببية يعتصم بالعلاقة القائمة بين السبب والمسبب** ، التى تأتى على سنن العلم ، أما الرسول فإنه يأتى بالمعجزة من قبل الله تعالى التى تأتى على سنن الله ، وليس على سنن العلم ، والفرق

(١) الدكتور/ محمد حسينى موسى الغزالى - عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٣١٣ .

بين فعل الله تعالى وبين فعل البشر هو نفسه الفرق بين قانون السببية وقانون المعجزة الإلهية.

(٣) **أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء** ، فإذا كشف لرسوله عمق الزمان كفكرة ، وطوى المسافات في برهة ، « وأطلعه على سننه تعالى ، والقوانين التي أودعها جلا علاه في الكون ومظاهره ، وأخبره بوقوعها قبل ميعاد تحققها في الواقع ، فلا شك أن ذلك هو المعجزة التي لا سلطان للعلم عليها[1] .

(٤) **أن قوانين العلم كالسببية والحتمية والعلية وغيرها ، إنما هي قوانين ألفها البشر** ، وارتضوها ، ثم التزموا بها طبقا لقدراتهم البشرية وإمكانياتهم المحدودة .

أما بالنسبة لله تعالى فهو وحده جل علاه الخالق لكل شيء ، وهو الذي يجعل العلاقة بين السبب والمسبب تقوم أو لا تقوم .

(١) الدكتور / إبراهيم هلال – المعجزات وعدم خضوعها للقوانين العلمية – مقال منشور بمجلة التوحيد ص١٩ . وما بعدها – إصدار المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة (عدد صفر ١٣٩٥)

فإذا قامت فمعناه ، أن الله تعالى هو الذى أراد لها الاستمرار .

وإذا انقطعت أو فصلت تلك العلاقة . فمعناه أن الله تعالى هو الذى فصلها ، حتى يتاح للعقل البشرى أن يفكر فيما صنع الله . وتتضح له مسألة غائبة عنه ، وهى أن الله تعالى هو الذى خرق تلك العادة .

(٥) **أن منكرى المعجزات اعتمدوا على أنها خرق للعقل** ، بينما هى خرق للعادة التى ألفوها ، وظنوها قائمة لا تنفصل ، والفرق بين العادة والعقل هو نفس الفرق بين السماء والأرض .

(٦) **كما أن المعجزة تقوم فى الأصل على الإعجاز والتحدى** ، بينما العلم يقوم على الانتظار والترقب ، بمعنى أن النتيجة فى المعجزات محددة ، أما النتيجة فى قضايا العلم المعملى فليست محددة ، وكم من باحث ترقب نتيجة فترة طويلة ، وظل بجوار المعمل يرقبها ، فإذا هى مخيبة آماله ، راجعة بغير ما كان يأمله أو ينتظره .

وآية ذلك أن الرسول ﷺ حينما كان في معجزة الإسراء والمعراج ، وقد عاد منها بفضل الله تعالى ، وقص خبرها على الناس ، رفض التصديق بها ، بعضهم عقلا ، واستنكرها البعض عادة وعرفا ، بدليل أنهم قالوا للرسول ﷺ نضرب لها أكباد الإبل شهرا ، وتدعى أنك ذهبت إليها وعدت منها في جزء من الليل ، إن ذلك لشيء عجيب[1] .

من ثم فإن المعجزات ثابتة ، والاستبعاد لها بناء على قوانين العلم ليس أمرا مقبولا ، بل العلم يؤكد وقوع المعجزات ، من باب الاستثناء العلمى أيضا ، لما هو معروف من أنه لكل قاعدة علمية استثناءات تقوم عليها مفاهيم الاستثناء نفسه ، بمعنى أن الاستثناء العلمى أيضا ظاهرة علمية ، والمعجزة تأتى على مفهوم الاستثناء العلمى .

(٧) **أن المعجزات لا تقع اليوم ،** لأن طبيعة المعجزة أن تأتى مؤيدة للنبى ، وقد انتهت النبوة ، فلا معجزة ، أو بعبارة أخرى : إن

(١) الدكتور / محمود محمد زيادة – العرب وظهور الإسلام ص١٧٣ – ط أولى – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .

المعجزة تأتى كشرط لتصديق النبى ، وقد انقطعت النبوات . فلا بد من تخلف الشرط . وتخلف النتيجة ، لتخلف المشروط نفسه . وهو النبوة .

يقول الدكتور الغمراوى : « أن المعجزات بالنسبة للنواميس الكونية وخرقها ، فهى إما أن تكون خرقا لبعضها حسب نوع المعجزة . أو لا تكون . فإن كانت خارقة لبعضها . فهى أدل على صدق النبى ، أو الرسول فى دعواه . أنه من عند الله ، لأنه لا يقدر على خرق السنة الكونية إلا الله الذى سنها جل علاه ...

وإن لم تكن خرقا لسنة كونية ، فهى قد وقعت أيضا طبقا لسنة كونية ، ولا شك أن النبوة أو الرسالة الإلهية شرط فى تحققها ، فإذا تخلف الشرط ، وهو النبوة أو الرسالة ، تخلفت النتيجة ، ولم تقع المعجزة ، وذلك هو السر فى انقطاع المعجزات اليوم ، والى يوم القيامة ، بعد أن ختمت النبوات والرسالات

الإلهية بالإسلام ونبوة خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه[1] .

(٨) **أن منكرى المعجزات انطلقوا من قواعد العلم المادى المحسوس ،** وحكموا بأن المعجزات خرق له ، وهو بناء عليه ينكرها ، وقد تجاهلوا أنهم بذلك الاعتبار ، يسقطون أنفسهم وشبهاتهم ، وما مثلهم عندنا إلا كمثل من يحكم على العواطف الراقية النبيلة المعتصمة فى صدر صاحبها بمقياس قانون الجاذبية ، أو من يقايس بين الحلى وأحجار الطواحين فى الحجم والكمية ، لا فى القيمة والكيفية .

(٩) **أن العلم المادى الذى يحتكمون إليه يقوم على قضايا احتمالية ،** بينما المعجزات نتائجها يقينية ، وليس من المعقول أن نجعل ما هو احتمالى حاكما على ما هو يقينى ، وإلا كان ذلك قلبا للأوضاع .

ثم أن العلم الحديث وظيفته تطبيق قاعدة معينة ، أو بحث علاقة معينة تبعا لأصول مرسومة محددة ، أما عملية التفكير

(١) الدكتور / محمد أحمد الغمرواى – الإسلام فى عصر العلم ص١٠٤ – ط الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م – مطبعة السعادة .

فإنها تختلف عن ذلك تماما ، أنها تستطيع أن تتقيد بالقواعد ، كما تستطيع أن تتغافلها »[1] .

- **وبناء عليه** : فإن العلم الحديث لا يمكن اعتباره حاكما على المعجزات ، كما لا يمكن إخضاعها إليه ، وبالتالى فأحكامه مردودة ، وقضاياه بالنسبة للمعجزة غير مقبولة .

- **ونحن نذهب إلي** : أن القوانين العلمية مهما كان فيها من دقة وثبات ، فإنها فى كل الحالات احتمالية ، واليقين فيها نسبى ، بل ان كل جماعة تحدث تغيرات كثيرة فى القوانين التى وضعها من سبقهم ، وتكشف عن وجوه النقص . حتى صار معروفا المثل القائل : « العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة » .

ثم أن المعجزات قد جاء بها النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، حيث تحدث عن فلك نوح . وكيف مر بين

---

(١) مجموعة من العلماء الأمريكان – الله يتجلى فى عصر العلم ص١٢٦ – ترجمة د/ الدمرداش عبدالمجيد سرحان – طبعة ٣ عام ١٩٦٨م الحلبى ، وراجع كذلك " الإسلام يتحدى " للأستاذ وحيد الدين خان . وايضا " الدين فى مواجهة العلم له " . وكذلك " مواجهة الإلحاد المعاصر " للدكتور / يحيى هاشم فرغل . وغيرها من المؤلفات التى عنيت بذلك الجانب ـــ، وأفاضت فيه .

الهضـاب والجبـال ، وأنجـى الله أهلـه بـين العواصـف والرعـود والأمطار[1] .

كما تحدث عن طيور إبراهيم عليه السلام[2] ، وكذلك ذكـر عصـى موسـى ويده[3] ، وغيرها من الآيات البينات التى اعتبرت بالنسبة للكليـم مـن

---

(١) قال تعالى ﴿ " وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " ﴾ سورة هود - الآيات ٤٤/١٤ .

(٢) قال تعالى ﴿ " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيـي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولـكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم " ﴾ سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

(٣) قال تعالى فى عصى موسى ويده : ﴿ " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى " ﴾ سورة طه الآيات ٢٣/١٧

المعجزات[1] ، في نفس الوقت تحدث القرآن الكريم عن كثير من الأنبياء ومعجزاتهم[2] .

ﷻ قال تعالى ﴿ "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" ﴾[3] .

ﷻ قال تعالى ﴿ "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " ﴾[4] .

---

(١) منها قوله تعالى : ﴿ " فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين " ﴾ سورة الأعراف الآية ١٣٣ .

(٢) على سبيل المثال ما جاء في حق عيسى ﷺ . قال تعالى : ﴿ " ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ﴾ سورة آل عمران الآيات ٤٩/٥١ .

(٣) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٤) سورة يوسف الآية ١١١ .

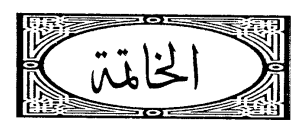
ﷻ قال تعالى ﴿ "وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين " ﴾[1] .

وكم حدث القرآن الكريم عن ناقة صالح عليه السلام . وحوت يونس عليهم أفضل السلام وأتم التسليم ، وكذلك حدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام في إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله .

وفوق ذلك فإنه تحدث عن انشقاق القمر لرسولنا ﷺ وغيره من المعجزات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح ، كتسبيح الحصى ، وتسليم الحجر والشجر والأسكف ، ونطق الجماد ، والحيوان ، والنبات ، إلى غير ذلك مما هو معدود لدى العلماء والمحققين من معجزات سيدنا محمد ﷺ .

إن من ينكر المعجزات لا يلتفت إليه ولا يمكن أن يؤخذ قوله لأن ما ثبت بالبرهان ، وصار واقعا يقف عليه العقل ويقر به البيان ، فلا يؤثر فيه إنكار من لا يعرف الضروريات ، ولا يستطيع تفهم البدهيات ، وإنما يرتضع فقط أحلام أصحاب الاحتمالات ، ومثله لا اعتداد به .

(١) سورة يونس الآية ٣٧ .



الخاتمة

من المعروف لدى أهل العلم أن الخاتمة لأى بحث علمى تمثل رصدا لأهم النتائج التى أمكن للباحث أن يقف عندها .

وجريا مع تلك القاعدة فإنى سأذكر أبرز النتائج التى وقفت عليها على النحو التالي :-

الأولى : أنه يجب الأخذ فى الاعتبار عدم قبول المنازعة بين دعاة السلفية ، وأهل السنة والجماعة ، فى تسمية المعجزات دلائل وآيات ، أو براهين ومثبتات[1] أو معجزات[2] . واعتبار بعضها صوابا يقوم على الشرع ، والبعض الآخر خطأ يحتاج إلى التعديل ، لأن العبرة بالمعنى المتفق عليه فيما بينهم ، وهم لا يتنازعون فيه .

(١) ممن يتبنى ذلك الرأى شيخ الإسلام ابن تيميه ، ومن معه ، حيث يذهبون إلى أنها تسمية نقلية ، ولا يجوز الخروج عنها ، وإلا كان القائم بها مخالفا للشرع عندهم .

(٢) هو اللفظ الذى يستخدمه أهل السنة والجماعة ، ومن يجرى مجراهم ، ولا أرى فيه شيئا مخالفا للنص الدينى ، طالما كان اللفظ المستخدم يؤدى ذات المعنى المتفق عليه .

* **الثانية** : أن المعجزة تدل على صـدق الرسول فـى دعـواه ، مـن أيـة ناحية جاءت وأى طريـق صح . فـهى إن جـاءت مـن جهـة العقـل وأثبتت النبوة فهى مقبولة ، وإن قامت على أسـاس الوضـع اللفظـى فلا منازعة ، أما إن جاءت على طريق خرق العادة ، فهى أقوى فـى الدلالة من حيث أن إيجاب العادة وسلبها يثبـت بـه أمـر النبـوة ، وبه يتحقـق أمـر الفعـل والـترك علـى مـا هـو تعريـف أهـل السـنة والجماعة للمعجزة .

* **الثالثة** : أن القـائلين بإثبـات المعجـزات إنمـا ينطلقـون مـن نصـوص الدين الإسلامى الحنيف ، وما صح من سنة رسـول الله ﷺ . وبالتـالى فإن الأمر عندهم بين . وإذا اعتبرنا أن الإثبات مقـدم علـى النفـى . فإن ذكرهم لا يقلل من الجهود التى قاموا بها .

* **الرابعة** : أن مثبتـى المعجـزات هـم فـى الأصـل مثبتـو النبـوات . باعتبار أن المعجزات لا تنفصل عن النبوات . إلا مـن حيـث الألفـاظ الدالة علـى كـل منـهما . لكنـهما فـى النهايـة يتـآزران . فـالنبوة بحاجة إلى المعجزة من حيث إثباتها . والمعجزة لا قيمة لهـا إلا إذا كانت فى حدود النبوة والقيام على خدمتها .

❁ **الخامسة** : أن شبهات المنكرين إنما تعبر عن نفوس غلبها التمزق ، وعاشت فى أحضان الحيرة والتردد ، فلا هى اعتنقت الإيمان ، ولا هى بالقادرة على إشباع داخلها المتعطش للعلم والمعرفة بشيء غيره ، ولذلك فإن إنكارها للمعجزات لا يعبر إلا عن نفس مريضة قلقة .

❁ **السادسة** : أن المنكرين للمعجزات ينكرون النبوات . رغم ثبوت النبوات بالمعجزات وغيرها . فإذا طبقنا القاعدة بأن نفى النفى إثبات ، انتهى الأمر بنا إلى أن منكرى النبوات هم مقرون بها ، رغم إعلانهم المتكرر . إنهم يرفضونها . ﴿ " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا " ﴾[1] .

ولا شك أن ذلك من القضايا الهامة التى تجعل المفكر يرى أن ذلك من فضل الله ، لأنه لو لم يوجد منكرون للمعجزات ، لما بحثت بشكل متعدد مرات كثيرة . إذ كان يكفى فى بحثها المرة الأولى . ثم تتلاشى طبقا لقواعد النسيان .

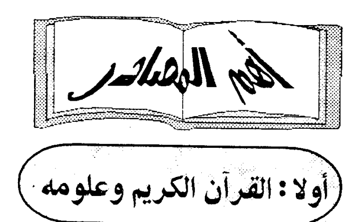
---

(١) سورة الكهف الآية ٥ .

أما وأنها قد هيأ الله لها بعض المنكرين ، فإن ذلك قد سمح بمراجعتهم والتأكيد على فساد ظنونهم ، ومن ثم تظل المسألة قائمة في الدراسة لا تنقطع ، وذلك من فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده .

وبعد

فإنى أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت لما إليه ذهبت . وأن أكون قد صوبت فيما قدمت ، انه نعم المولى ونعم النصير



أولا : القرآن الكريم وعلومه

(١) القرآن الكريم

(٢) مفاتيح الغيب : المسمى بالتفسير الكبير : الإمام الفخر الدين الرازى – طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت الطبعة الثالثة – طبعة دار الغد العربى ١٩٦٢م .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – مكتبة الغزالى – مؤسسة مناهل العرفان .

(٤) مناهل العرفان فى علوم القرآن – الشيخ / محمد عبدالعظيم الزرقانى – مطبعة عيسى البابى الحلبى – الطبعة الثالثة .

(٥) تفسير القرآن العظيم – العلامة ابن كثير – طبعة عيسى الحلبى .

(٦) تفسير التحرير والتنوير – الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور – ط الحلبى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(٧) الإتقان فى علوم القرآن – الإمام جلال الدين السيوطى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٨) مجمع البيان فى تفسير القرآن - العلامة الطبرسى - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر .
(٩) صفوة البيان فى علوم القرآن - الدكتور / محمد متولى ط٢ / ١٤١٢هـ .
(١٠) طبقات المفسرين - الإمام السيوطى - طبعة اليمن ١٨٣٩
(١١) مجمع البيان فى تفسير القرآن - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر

ثالثا : الحديث الشريف وعلومه

(١٢) صحيح الإمام البخارى
(١٣) صحيح الإمام مسلم
(١٤) سنن النسائى
(١٥) سنن الإمام البيهقى .
(١٦) الترغيب والترهيب للمنذرى
(١٧) الضوء اللامع - السخاوى
(١٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - تحقيق محمد البيجاوى - ط الحلبى

ثالثا : المعاجم والسير والتراجم

(١٩) المعجم الوجيز
(٢٠) القاموس المحيط - العلامة الفيروز ابادى .
(٢١) التعريفات - العلامة الجرجانى - مطبعة الحلبى١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م

(٢٢) الاعلام - خير الدين الزريكلى .
(٢٣) وفيات الأعيان لابن خلكان .
(٢٤) هدية العارفين - الإمام البغدادى - ط اسطنبول ١٩٥٥م .
(٢٥) تاريخ الرسل والملوك - العلامة الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعارف .
(٢٦) أعلام الفكر الإنسانى - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٢٧) الوافى بالوفيات .
(٢٨) البداية والنهاية - العلامة ابن كثير .
(٢٩) الخلفاء الراشدون - الدكتور / عبدالفتاح شحاته .
(٣٠) عبقرية الصديق - الأستاذ / عباس محمود العقاد .
(٣١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - طبعة المقدسى .
(٣٢) تاريخ الإسلام العرب وظهور الإسلام - الدكتور / محمود محمد زيادة - ط أولى دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
(٣٣) الإمام القرطبى - الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام.
(٣٤) سيرة لبن هشام - العلامة ابن هشام .
(٣٥) العلامة السهيلى - الروض الأنف .
(٣٦) أعلام الإسلام - العلامة الذهبى .

رابعا : رسائل جامعية ودوريات ومخطوطات

(٣٧) النبوة بين المتكلمين والفلاسفة – الشيخ عبدالشكور بن الحاج حسين سعيد – رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٣م مخطوطة.

(٣٨) فكر الإمام الرازى فى النبوات ومدى توظيفه فى العصر الحديث – للمؤلف – رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٢م .

(٣٩) الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٥م .

(٤٠) حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق – العدد الثامن – جماد الأخر ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٥م – جهود الإمام أبو الحسن الأشعرى فى إثبات وجود الله تعالى ١١٢٣/١١٨٠هـ للمؤلف

(٤١) عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة عين شمس ١٩٩٢م .

(٤٢) مجلة منبر الإسلام – العدد ٢ سنة ٤١ صفر ١٤٠٣ ديسمبر ١٩٨٢م

(٤٣) محلة التوحيد - إصدار المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة عدد صفر ١٣٩٥هـ - المعجزات وعدم خضوعها للقوانين العلمية - الدكتور إبراهيم هلال - مجلة التوحيد - إصدار المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة - عدد صفر ١٣٩٥هـ .

(٤٤) مجرد مقالات الشيخ الاشعرى - الإمام ابن فورك - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢١٤ .

(٤٥) البرهان في أصول الفقه - إمام الحرمين الجويني - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧١٤ .

(٤٦) المعجزات الحسية لنبى خير البشرية - الإمام أبو حامد الغزالى - مخطوط بدار الكتب المصرية .

خامسا : مصادر عامة

راعيت في ترتيب هذه المصادر ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولا . بعد تجريده من حرف - ال - إن وجد . ثم ذكر اللقب العلمي ، ثم ذكر الاسم الذى تسمى به طبقا لترتيب المصادر ، حسب الدراسات العلمية.

حرف الألف

◄ الأشعر - الإمام أبو الحسن بن إسماعيل ت ٣٢٤هـ/ ٩٢٩م .

(٤٧) الإبانة عن أصول الديانة – تحقيق د/ فوقية حسين محمود – دار الكتب للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

◄ الآمدى - الإمام على بن أبى على بن محمد بن سالم الآمدى ٥٥٩/ ٦٣١هـ

(٤٨) غاية المرام فى علم الكلام – تحقيق حسن محمود عبداللطيف – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث بالقاهرة .

(٤٩) الأحكام فى أصول الأحكام – طبعة مطبعة صبيح ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

◄ الأمير - العلامة محمد

(٥٠) حاشية الأمير ط الحلبى

◄ الأسفراييني - الإمام أبو المظفر ت ٤١٧هـ

(٥١) التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة – طبعة الأنوار ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م – تحقيق الشيخ الكوثرى – تقديم الدكتور / محمود محمد الخضيرى .

الايجى - الإمام عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار بن أحمد الايجى الشيرازى ت ٧٥٦هـ ، وشهرته : القاضى عضد الدين الايجى

(٥٢) المواقف - بشرح الشريف الجرجانى ، وحاشية السيالكوى والفنارى - مكتبة المتنبى .

الأحمدى - العلامة الشيخ أحمد بن منصور

(٥٣) منور الأذهان فى علم البيان - طبعة النصر ١٩٩٣م .

ابن تيميه - شيخ الإسلام / تقى الدين أبو العباس أحد بن عبدالحليم الحرانى ت ٧٣٨هـ

(٥٤) مجموعة الفتاوى - النبوات - طبعة دار الفتح - المطبعة المثيرة ١٣٤٦هـ

(٥٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - تقديم على السيد صبيح المدنى - طبعة المدنى .

(٥٦) المعجزة وكرامات الأولياء - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا . وكذلك حقق ذات الكتاب : أبى عبدالله محمود إمام - مكتبة الطحاوية بطنطا ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ابن خلدون - العلامة عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ

(٥٧) المقدمة - طبعة دار القلم - بيروت ط ٤ / ١٩٨١م . وأيضا طبعة محمد عاطف بدون تاريخ .

ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو على

(٥٨) الرسالة العرشية – طبعة حيدر آباد ١٣٥٤هـ ضمن مجموعة

ابن حزم - الإمام محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى ت ٤٥٦هـ

(٥٩) الفصل فى الملل والأهواء والنحل – بهامشه الملل والنحل – طبعة دار الفكر .

إبراهيم - الدكتور / صلاح عبدالعليم

(٦٠) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم – مكتبة الأزهر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

إبراهيم - الدكتور محمد شمس الدين

(٦١) تيسير القواعد المنطقية – شرح الرسالة الشمسية ط٣ – دار التأليف ١٣٨٦هـ/١٩٦٨م .

أبو العز - الإمام على بن على بن محمد

(٦٢) شرح العقيدة الطحاوية – تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر – مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠هـ – الأزهر .

(٦٣) المنار فى علوم البلاغة – المقرر على طلاب الصف الثانى من المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية .

حرف الباء

البغـدادي - الإمـام عبدالقـادر بـن طـاهر بـن محمـد البغـدادى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م

(٦٤) أصول الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البغدادى - أبو القاسم على بن الحسن

(٦٥) تنزيه الأنبياء - مطبعة الحيدرية .

الباجورى - شيخ الإسلام / إبراهيم بن عطية بن محمد

(٦٦) تحفة المريد على جوهرة التوحيد - المطبعة الأزهرية ١٣١٠هـ وبهامشها تقريرات العلامة الأجهورى .

البيهقى - العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين ٤٥٨هـ

(٦٧) الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة - طبعة السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع - بيروت - ط أولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م .

الباقلانى - القاضى : أبو بكر بن الطيب ت ٤٠٣هـ

(٦٨) الإنصاف فيما يجب اعتقاده . ولا يجوز الجهل به - تحقيق وتقديم الشيخ محمد زاهر الكوثرى - ط الثانية - الخانجى ١٩٦٣م . وأيضا النسخة الأخرى بتحقيق الأستاذ عماد الدين احمد حيدر - عالم الكتب - بيروت - ط أولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٦٩) إعجاز القرآن

البوصيرى - الإمام شرف الدين محمد بن سعد ٦٠٨هـ/ ٦٩٦هـ

(٧٠) لامية البوصيرى - تحقيق الشيخ أحمد فهمى محمد - مطبعة حجازى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

حرف التاء

التفتازانى - الإمام سعد الدين بن عمر بن عبدالله - ت ٧٩٣هـ وشهرته قاضى القضاة .

(٧١) شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول عقائد الدين بحاشية السنابى .

(٧٢) شرح التفتازانى على العقائد النسفية - طبعة عيسى البابى الحلبى .

التازى - الدكتور مصطفى أمين

(٧٣) محاضرات فى علوم الحديث - طبعة دار التأليف .

حرف الجيم

الجرجانى - العلامة السيد الشريف

(٧٤) الرسالة الشريفية فى آداب البحث والمناظرة - تحقيق الدكتور على مصطفى الفرابى - مطبعة صبيح ١٤٤٩/١٣٦٩هـ .

الجسر - الأستاذ نديم حسين

(٧٥) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - منشورات المكتب الإسلامى - ط الثالثة بيروت ١٢٨٩هـ/١٩٦٩م .

الجوينى - إمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك عبدالله بن يوسف بن محمد الدوينى العراقى ٤١٩/٤٧٨هـ

(٧٦) **الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد – تحقيق الدكتور محمد** يوسف موسى . وآخر – القاهرة ١٩٥٠م . وطبعة أخرى – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – تحقيق أسعد غنيم .

(٧٧) **لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة – تحقيق الدكتورة** فوقية حسين محمود – ط أولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

حرف الحاء

حجازى - الدكتور عوض الله جاد

(٧٨) دراسات فى العقيدة الإسلامية – دار الطباعة المحمدية – ط أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(٧٩) المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم – دار الطباعة المحمدية ط الثالثة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(٨٠) أصول التشريع الإسلامى – الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر .

الحديدى - الدكتور محمد أبو النور

(٨١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم – مطبعة الأمانة .

حرف الخاء

◐ الأستاذ وحيد الدين
(٨٢) الديـن فـى مواجهـة العلـم - دار الاعتصـام - بـيروت ط أولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
(٨٣) الإسلام يتحدى - دار الاعتصام - بيروت - ط أولى .

◐ الخطيب - الأستاذ عبدالكريم
(٨٤) النبى محمد إنسان الإنسانية ونبى الأنبياء - طبعة دار الفكر العربى ط أولى ١٩٦٢م، ط ثانية ١٩٧٦م .
(٨٥) أبو العـلاء المعـرى رهين المحبسين - طبعـة دار اللـواء بالسعودية ١٩٨٠م .

◐ خميس - الدكتور سليمان سليمان
(٨٦) محاضرات فى العقيدة - ط أولى ١٣٨٢هـ - مطبعة عطايا .

حرف الدال

◐ دراز - الدكتور أحمد عبدالله
(٨٧) النبأ العظيم .

◐ الديوانى - الدكتور مصطفى
(٨٨) حديث فى الطب - طبعة دار المعارف ١٩٦١م .

حرف الراء

الرازى - شيخ الإسلام فخر الدين محمد بن عمر ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م

(٨٩) **محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين** - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - الكليات الزهرية .

(٩٠) **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - الكليات الأزهرية .

(٩١) **المطالب العالية** - تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - الكليات الأزهرية .

(٩٢) **الأربعين فى أصول الدين** - تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - الكليات الأزهرية .

حرف السين

سالم - الشيخ حسن محمد

(٩٣) **الأدعياء والتاريخ** - مطبعة الطور ١٩٣٨م .

سرحان - الدكتور الدمرداش عبدالمجيد

(٩٤) **الله يتجلى فى عصر العلم** - تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين - ترجمة الدمرداش سرحان - ط الحلبى ١٩٦٨م

حرف الشين

الشهرستانى - الإمام أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ

(٩٥) الملل والنحل – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل ط أولى الحلبى

(٩٦) نهاية الاقدام فى علم الكلام – نشرة الفرد جيوم ط١ ١٩٣٤م .

الشعراوى - الشيخ محمد متولي

(٩٧) معجزة القرآن الكريم – كتاب اليوم ط ٣

الشاذلي - العلامة / محمود بن عبدالملك

(٩٨) دراسات فى علم الكلام – طبعة فاس بالمغرب ١٩٤١م

شرف الأستاذ حفنى

(٩٩) الحقيقة الكبرى فى الرد على الدهريين – ط المجلس الأعلى للشـئون الإسلامية – العدد الثانى والثلاثون ١٩٦٣م .

مشرف - الشيخ صالح موسى

(١٠٠) مذكرات فى التوحيد – ط ٣ مطبعة شبرا ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

حرف الصاد

• صبرى - الشيخ مصطفى
(١٠١) موقف العقل والعلم والعالم ممن رب العالمين ، وعبادة المرسلين - مكتبة الإيمان ١٩٥٠م

• الصافى - الدكتور محيى الدين أحمد
(١٠٢) محاضرات فى السمعيات - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ط أولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

• صالح - الدكتور سعد الدين السيد
(١٠٣) المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ط أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

حرف الطاء

• الطوسى - العلامة نصير ا لدين
(١٠٤) تلخيص المحصل بهامش المحصل - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

حرف العين

• عبده - الإمام محمد
(١٠٥) رسالة التوحيد - تحقيق الدكتور محمود أبورية ط٤ دار المعارف.
وأيضا طبعة دار المنار - تحقيق الشيخ رشيد رضا ١٣٨٦هـ ط ١٧

● عويس - الشيخ منصور محمد

(١٠٦) ابن تيميه ليس سلفيا – دار النهضة العربية ١٩٧٠ .

● عبدالباقى - الأستاذ محمود نصر الدين

(١٠٧) دراسات فى علم الكلام ط٢ / ١٩٤٧م .

● عبدالمقصود - الدكتور إبراهيم محمد

(١٠٨) قانون السببية وأثره فى العلم الحديث – ط أولى – دار المنار ١٩٣٧م .

● عبدالعزيز - الأستاذ سعد

(١٠٩) فلاسفة الإسلام – مطبوعات الشعب ١٩٧٧م .

حرف الغين

● الغزالي - حجة الإسلام أبو حامد محمد محمد ٤٥٠/ ٥٠٥هـ

(١١٠) إحياء علوم الدين – تحقيق الدكتور بدوى طبانة – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

(١١١) الاقتصاد فى الاعتقاد – القطب الرابع – الباب الأول فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ تحقيق الدكتور محمد حسينى موسى الغزالى

● الغزالي - الدكتور محمد حسينى موسى محمد

(١١٢) الغزاليات فى السمعيات – ط أولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م – مطبعة آل بسيونى بغزاله .

(١١٣) حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - الجزء الثالث - الأفعال الإلهية - مطبعة آل بسيونى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

● الغمراوى - الدكتور محمد أحمد

(١١٤) الإسلام فى عصر العلم ط أولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م - مطبعة السعادة

حرف الفاء

● فرغلى - الدكتور يحيى هاشم

(١١٥) مواجهة الإلحاد المعاصر - ط مجمع البحوث الإسلامية .

حرف القاف

● القاضى عبدالجبار بن أحمد ت ٤١٥هـ وشهرته قاضى القضاة

(١١٦) شرح الأصول الخمسة - تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان - مكتبة وهبه ط ٢ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١١٧) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - ج التنبؤ والمعجزات .

● القرطبى - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر فرج الأنصارى

(١١٨) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام - تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - دار التراث العربى .

● القشيرى - الإمام عبدالكريم بن عبدالملك النيسابورى ٣٧٦/٤٦٥هـ

(١١٩) الرسالة القشيرية – ط الحلبى

حرف الميم

● المعرى - أبو العلاء

(١٢٠) اللزوميات – طبعة بيروت

● المذارى - العلامة الشيخ إبراهيم بن مصطفى الحلبى

(١٢١) اللمعة – تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى – مطبعة الأنوار ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

● ملاك - الأستاذ يوسف

(١٢٢) العلم والخوارق النظرية – طبعة أولى ١٩٣١م .

● محمود - الدكتور زكى نجيب

(١٢٣) خرافة الميتافيزيقيا – ط الأنجلو

(١٢٤) المنطق الوضعى – ط النجلو

● المقدوح - الدكتورة وفاء بنت محمد

(١٢٥) موسوعة العلوم الطبية – ط تونس ١٩٨٣م

الماتريدى - العلامة أبو منصور

(١٢٦) كتاب التوحيد - تحقيق الدكتور فتح الله خليف - طبعة دار الجامعات المصرية

حرف اللام

اللقانى - الشيخ إبراهيم

(١٢٧) جوهرة التوحيد وعليها شرح الشيخ عبدالسلام اللقانى - ط الحلبى ١٩٣٨م .

حرف النون

النسفى - العلامة أبو المعين

(١٢٨) التمهيد لقواعد التوحيد - تحقيق جيب الله حسن أحمد - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة

وهناك مصادر أخرى رجعت إليها ولم أذكرها تخفيفا على صفحة المصادر .


فهرس